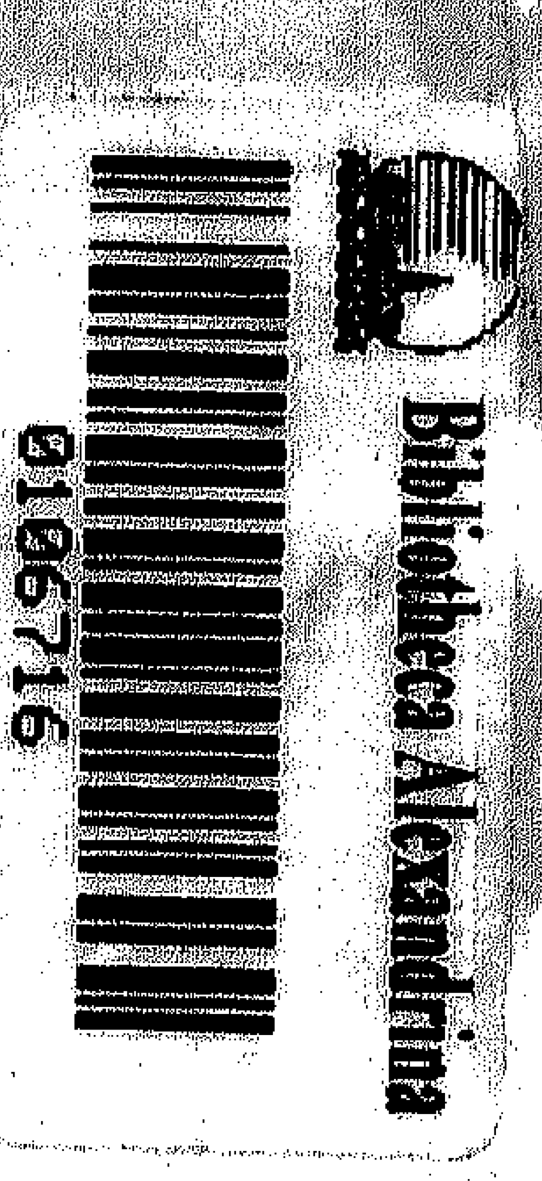
نافذة على الآخر

الحرب القادمة

نتنياهو أخطر رجل فى أخطر دولة

"وثائق وأحاديث إسرائيلية"





عرض وتحليل

عبد العال الباقورى

الحرب القادمة

نتنياهو أخطر رجل فى اخطر دولة

نافذة على الآخر ١

الكتاب: **الحرب القادمة**
"نتنياهو أخطر رجل فى اخطر دولة"
المؤلف: **عبد العال الباقورى**
الناشر: **دار الهدى للنشر والتوزيع**
المنيا - ٠٨٦/٣٤٦٧١٣
الاخراج الفنى: **وائل طلعت**
الصف: **دار الهدى**

الحـــرب القادمة

نتنياهو أخطر رجل فى أخطر دولة

(وثائق وأحاديث إسرائيلية)

عرض وتحليل

عبد العال الباقورى



نافذة على الآخر

على حافة الصدام، أو فى دهاليز التسوية، ما أحوجنا إلى فتح نافذة على الآخر، نرصد من خلالها أفعاله، لنضع أيدينا على مُنطلقاتها ونعي مراميها.

ما أحوجنا إلى النظر في مرآة أنفسنا بذات الموضوعية التي يجب أن ننظر بها إلى الآخر، فلا نزايد على قُدراتنا، ولا نخلع عليه ما لا يتمتع به من قوة ومنعة.

ما أحوجنا إلى عرض صادق، وفهم ذكي لأدوار صراعنا معه، كي لا تثمل الذاكرة الوطنية بخمر مصالحة لا تُبق لنا حق، ولا تصون لشهداء كفاحنا تضحية .

ما أحوجنا إلى التقليب فى أوراق الماضى القريب، لننصت إلى حقائق التاريخ، ونستفد من دروسه، طالما كتبت علينا المواجهة إن حربا وان سلما .

وعلى طريق محاولة فهم موضوعي، نقدم للقارئ العربى دراسة الكاتب السياسى البارز *عبد العال الباقورى* (الحرب القادمة)، آملين أن نُتبعها بسلسلة من الدراسات والمؤلفات (العربية - الإسرائيلية) الجادة قبل أن نستطع الادعاء بأن لدينا حقا (نافذة على الآخر).

الناشر



مثل هذا "الكتاب" لا يحتاج إلى مقدمة .. إنه ـ ككل ـ مقدمة وخاتمة، بداية ونهاية .. فصل أول وفصل أخير في وقت واحد .. إنه أقرب إلى أن يكون صرخة أرجو ألا تذهب دون أصداء في "البرية العربية". لقد أردته جرس إنذار، لعله ينبه من لم يتنبهوا بعد إلى خطورة هذا الرجل، بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل وزعيم "الليكود" و "اليميني المتطرف" .. واليمين في تاريخ الصهيونية وفي إسرائيل له "معنى خاص" ومحدد، إنه يعني الحرب والعدوان على أرض العرب وحقوقهم، بل نفي وإنكار وجود العرب في فلسطين. هكذا تحدث مثلاً جابوتينسكي، ومناحيم بيجين، وإسحق شامير .. وخليفتهم نتنياهو. وإن كان شامير يحاول أن يبدو أكثر يمينية وتطرفاً من نتنياهو، الذي يعتبر في هذه المرحلة "خلاصة اليمين الصهيوني". وهنا تكمن خطورته، ولا ينطبق عليه إلا وصف "أخطر رجل" في "أخطر دولة" .. وهل تحتاج خطورتها ـ علينا ـ إلى شرح وتدليل؟ وأكاد أقول في أخطر مرحلة منذ ١٩٦٧ !!

ومنذ نجح نتنياهو في انتخابات مايو ١٩٩٦، حاول البعض تسويقه بادعاء أن كل الإسرائيليين في التطرف سواء. وهذا ليس صحيحاً على إطلاقه. كما حاول المسئولون العرب أن يطمئنونا ـ في الحق أن يطمئنوا أنفسهم ـ بأن الرجل "طيب" و "ابن حلال"، وعلينا أن نعطيه فرصةً. لكن الفرصة طالت، وامتدت حتى الآن إلى سنة ونصف سنة تقريباً، ظهر خلالها نتنياهو على حقيقته، كما لم يظهر من قبل، ومع ذلك لا يزال المسئولون العرب يغطون في النوم، وينامون في العسل، انتظاراً لشيء

ما، لا أدرى ما هو .. هل ينتظرون دور الشريك أو الراعى الأمريكى؟ لقد أصبح الرئيس الأمريكى بيل كلينتون يتبنى موقف إسرائيل بشكل شبه كامل .. ويجرى تمهيد المسرح فى أمريكا لقدوم "الرئيس" آل جور .. وهو ـ لمن لا يعلم ـ نصير الصهاينة لأنه "حليفهم" و "نسيبهم".

وبعد محاولة اغتيال خالد مشعل رئيس المكتب السياسى لحركة المقاومة الإسلامية "حماس" فى الأردن، بدت خطورة نتنياهو بأوضح معاليها .. ولكن هذه مجرد مقدمة لأعمال أخطر رجل فى أخطر دولة .. هل أقول مرة أخرى "أخطر" مرحلة؟ إنى أكره صيغ المبالغة أو التفضيل .. ولكن لا مبالغة فى الأمر، إن الخطورة أصبحت ثلاثية الأبعاد والأركان، فهل نتنبه إلى ذلك؟

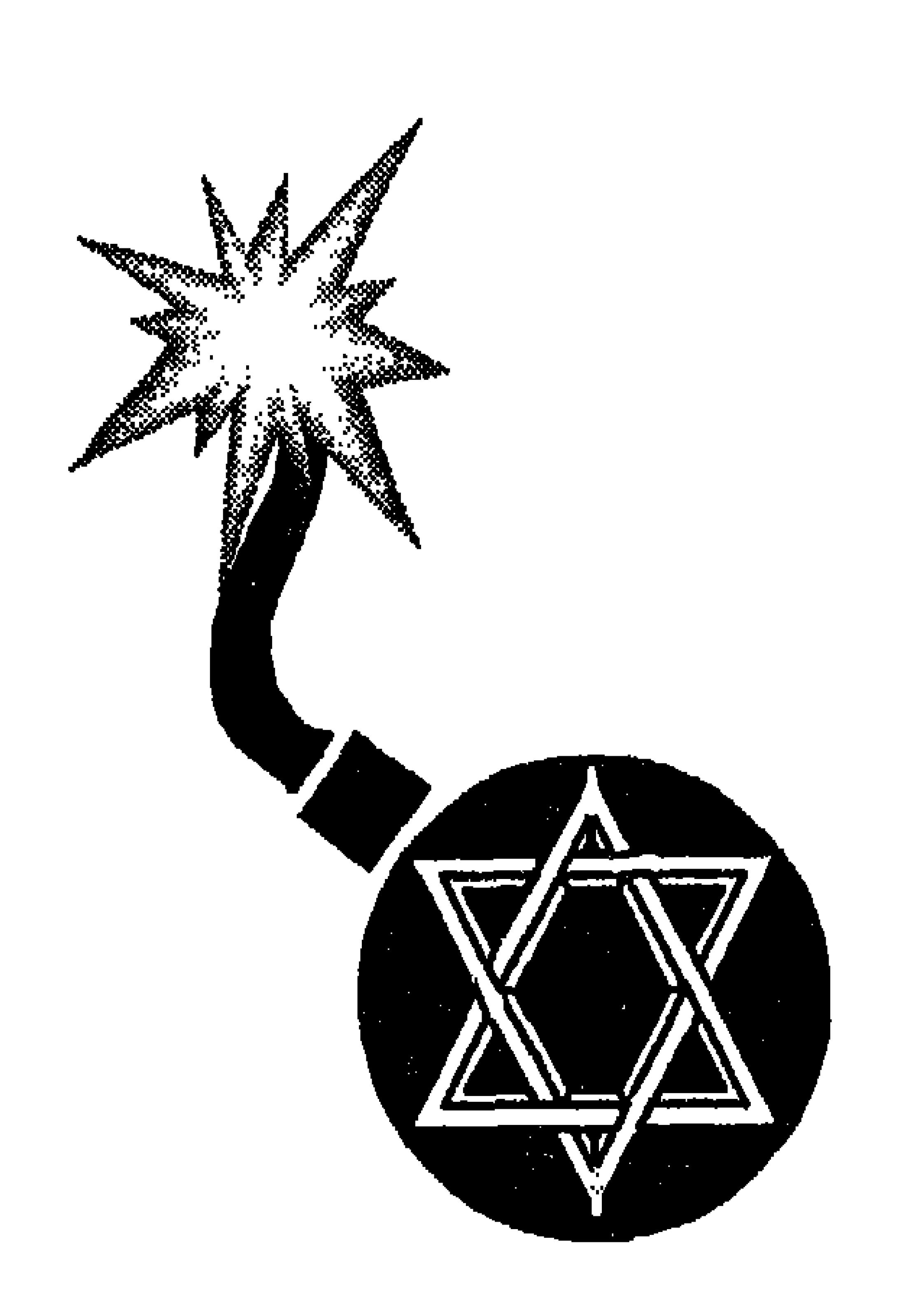
مازلت أقول .. ياليت!

عبد العال الباقورى

القاهرة فى ١٩ أكتوبر ١٩٩٧

الفصل
الأول

المستوطن ناخباً ومنتخباً



"المستوطن الخائف إصبعه دائماً على الزناد"

ولا ينبئك مثل خبير. فما بالنا والخبير ممن يصدق وصفه بأن "يده في النار، وليست في الماء". إنه سياسي عربي من إسرائيل، أو سياسي إسرائيلي من العرب(!) هو عزمي بشارة عضو الكنيست عن "التجمع الوطني الديمقراطي" الذي كتب في "الحياة" - عدد الأحد ١٢ أكتوبر ١٩٩٧ - مقالاً بعنوان "فشل من ونجاح من؟" تحدث فيه عن "عملية عمان" التي فشلت في اغتيال خالد مشعل .. دعنا من المقال ككل. لقد استوقفتني ستة سطور منه أو فيه، سبقت الفقرة الختامية.

كتب السياسي العربي من إسرائيل أو السياسي الإسرائيلي من العرب ما يلي: "لن يكون بمقدور السلطة الفلسطينية أن تقنع إسرائيل بدورها الأمني، لأن إسرائيل لا تريد أن تقتنع، وذلك لأنها ترفض شروط الحل الوسط التاريخي مع الفلسطينيين حتى لو ضمن الأمن لإسرائيل، ومن لا يدرك ذلك ليس لديه فكرة عن التغيرات الأيديولوجية العميقة التي يعبر عنها التحالف الذي يحكم إسرائيل حالياً".

قرأت الفقرة مرة واثنتين، ووجدتني أسائل نفسي: هل ندرك ذلك فعلاً؟ هل ندرك "أيديلوجية" التحالف الذي يحكم إسرائيل حالياً؟ وبسرعة أجبت: دعنا من التحالف ككل، هل ندرك "أيديولوجية" رئيسه وزعيمه بنيامين نتنياهو؟ لقد قرأنا كتابه عن "الإرهاب" وكتابه الآخر عن "مكان بين الأمم"، أو "تحت الشمس" فماذا فعلنا بهما؟ والأهم، هل قرأنا ما بعدهما، هل قرأنا نتنياهو حاكماً ورئيساً لوزراء إسرائيل؟ وهل أصابه تغيير؟ دون ذلك لن ندرك مغزى عملية عمان الفاشلة ولا مدى خطورتها .. وفي التو، تبلورت لدى فكرة تقديم نتنياهو "الحاكم" أو رئيس الحكومة، الذي يقول بعض الإسرائيليين إنه يملك سلطة شبه دكتاتورية. وكلما تبلورت الفكرة ازددت تردداً. وفي مساء الأربعاء ١٥ أكتوبر ١٩٩٧، وجدتني "أكوم" أمامي تلاً من المقالات والكتابات حول نتنياهو: ما كتب رداً على

كتابه "مكان تحت الشمس"، وبعض أحاديثه المهمة، بجانب الأعداد الكاملة من نشرة "مختارات إسرائيلية" التى يصدرها مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام، ومعها مئات المقالات والأخبار فى نشرة "المرصد" التى تتضمن ترجمة يومية لأهم ما تنشره الصحف الإسرائيلية، والتى أتلقاها عبر الفاكس، يومياً منذ حوالى عام.

حاولت تصفية ذلك كله، واخترت من بينه مقتطفات من برنامج "الليكود" الانتخابى، وبرنامج حكومة نتنياهو، ثم ثلاثة أحاديث من أهم أحاديث نتنياهو .. ثم كانت عملية اختيار المقالات والتعليقات التى حرصت على أن تتركز أساساً على ما بعد فشل عملية عمان ومحاولة اغتيال مشعل .. والوضع الراهن أو القائم نتيجة لسياسات نتنياهو منذ توليه رئاسة الحكومة الإسرائيلية، وهو وضع ـ كما يرى محللون إسرائيليون عديدون ـ سيؤدى إلى انفجار، بحيث ـ كما يقول يورى أفنيرى وآخرون ـ لم يعد السؤال هو هل سيقع الانفجار؟ بل متى وكيف وأين؟ إنه قادم لا محالة، فى ظل رجل يؤمن بأن إسرائيل فى حرب إلى الأبد، وأن التسوية و"اتفاقيات السلام" لن تنهى الصراعات، وأن الردع الإسرائيلى وقوة إسرائيل الرادعة هى التى تمنع العرب من ضرب إسرائيل .. وإنسان تلك هى رؤيته ـ كما تقول "هاآرتس" فى ٢٤ نوفمبر ١٩٩٦ ـ تعليقاً على الحديث المطول معه الذى سيأتى نصه كاملاً ـ ليس مؤهلاً للتوصل إلى "حلول وسط ضرورية من أجل أن تزول الكراهية والعداء ونقص الثقة بين إسرائيل وجيرانها".

إن نتنياهو رجل صناعته زرع الكراهية وتنميتها وتغذيتها بكل ما يساعد فى اتساع نطاقها. وفى خلال ذلك، يتخبط وتخبطه سيقود إلى كارثة حسب تعبير "معاريف" فى ٢١ نوفمبر ١٩٩٦ .. فى الفترة نفسها، وعلى وجه التحديد فى ١٥ نوفمبر، وفى "هاآرتس" كتب الكاتب المعروف زئيف ماعوز ما يلى: "إن الاستمرار فى اتباع الحد الأدنى من السياسة والدعوة إلى إعادة المفاوضات إلى نقطة الصفر من خلال بعض المناورات التكتيكية سيجرنا ـ على خلاف رغبتنا ـ إلى الحرب التى لا طائل منها".

وبعد "عملية عمان الفاشلة" وصفقتها "الخائبة" على المدى الطويل، أصبح

هذا "التوقع ـ توقع الانفجار أو الحرب ـ خطاً واضحاً وثابتاً في الصحف الإسرائيلية".

ولفهم حقيقة ذلك، يجب أن نعود قليلاً إلى الوراء، إلى نتائج انتخابات مايو ١٩٩٦ التي كشفت بجلاء عن "انتصار أيديولوجية المستوطن"[١]. فماذا يعني هذا؟ يعني أن المجتمع الإسرائيلي كمجتمع استيطاني يعلي من قيمة وثقافة العنف على ما عداها من قيم وثقافات، حيث يمثل العنف الأداة التكوينية في المجتمع الاستيطاني، فهو أداة الاستيلاء والسيطرة على الأرض والمياه، وهما عنصرا العملية الاستيطانية، كما أنه ـ في الوقت ذاته ـ أداة قهر السكان الأصليين، إما بالقتل أو الطرد أو فرض التهميش، كما أن العنف هو أداة حماية وضمان مجتمع المستوطنين، والذي تطارده دائماً أرواح وحقوق أصحاب الأرض الشرعيين، إما بالتخيل أو بالواقع الفعلي، ذلك أن عقلية المستوطنين يشغل فيها الخوف حيزاً كبيراً، الخوف من الآخر صاحب الحق في الأرض الذي لن يتوقف عن المطالبة بها إن سلماً وإن حرباً، وإن سراً وإن علناً، فصاحب الأرض حاضر في ذهن المستوطن، رغم غيابه أو تغييبه في الواقع"[٢].

والمستوطن الخائف إصبعه دائماً على الزناد، إنه مستعد للإطلاق، والضرب، إنه "كاوبوى" أجوف، هش، "خرع" .. وهذا مصدر خطورته، بل رعونته، التي يحاول أن يخفيها بقدر، أو بغلاف "الألعبان" الذي يحاول الضحك على الجميع. الأمر الذي يمارسه نتنياهو بالضبط، ليس مع قادة ومسئولين عرباً فقط بل مع آخرين في داخل إسرائيل نفسها، ونعود إلى "المستوطن ناخباً" تدليلاً على أن المستوطنين مالوا بأغلبية غير عادية نحو نتنياهو، فهو منهم وهم منه عقلية وسلوكاً، أيديولوجية وتصرفاً. فقد حصل نتنياهو في انتخابات مايو ١٩٩٦ على نسبة ٨٧,٤٪ من أصوات المستوطنين في الضفة الغربية المحتلة، في حين حصل بيريز

(١) انظر د. عبد العليم محمد: الانتخابات الإسرائيلية "الكنيست الرابعة عشرة ١٩٩٦" ومستقبل التسوية، ص٩٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٨.

على ١٢,٥٪ فقط، ولا يغير من هذه الحقيقة كثيراً أن بيريز تفوق على نتنياهو في الحصول على أصوات المستوطنين في الجولان، إذ حصل على ٥٠,٢٪ مقابل ٤٩,٧٪ حصل عليها نتنياهو، حيث إن أغلبية المستوطنين في الهضبة السورية المحتلة يتبعون ما يسمى "الحركة الاستيطانية العمالية"، لكن هؤلاء لا يتجاوز عددهم ١٣ ألف مستوطن من بين حوالى ١٥٠ ألف مستوطن في الأرض العربية المحتلة في ١٩٦٧.

لكن نتنياهو – في التحليل الأخير – ليس رجل استيطان فقط، إنه رجل مرحلة، مرحلة تحاول أن تبتلع أكبر قدر ممكن من الأرض العربية المحتلة، مرحلة إحياء – ولو على استحياء – فكرة "إسرائيل الكبرى". وهذا ما عبر عنه بوضوح لا مزيد عليه مارتين شيرمان في مقال كتب في "هاآرتس" في الثاني من سبتمبر ١٩٩٧، وقال فيه: "يجب على زعامة المعسكر القومي (= اليميني المتطرف) أن تفهم أن التحدى الأكبر اليوم الذى يواجهها، هو العمل على إيجاد اتفاق أو إجماع قومي وقبول دولى لحقيقة أنه من أجل توفير عناصر البقاء للدولة اليهودية ليس هناك مفر من تطبيق السيادة اليهودية الكاملة من البحر وحتى نهر الأردن. ومعنى ذلك هو إيجاد نفس الاتفاق القومي ونفس القبول الدولى بأن اتفاقيات أوسلو ماتت" .

الفكرة نفسها يركز عليها إسحق شامير رئيس وزراء إسرائيل الأسبق في مقال بعنوان: "لا يوجد ملك في إسرائيل" نشرته "يديعوت أحرونوت" في ٨ أكتوبر ١٩٩٧، وقال فيه: "إن العملية الفاشلة وغير المتزنة التى وقعت في قلب عمان، وعرضت للخطر حياة مقاتلين شجعان، وإنجازات سياسية بالغة الأهمية والمحاولات البائسة لاستئناف بنود معينة في اتفاقيات أوسلو التى ستحل علينا بالكارثة تستدعى منا العودة للتأكيد في هذه الأيام على المبادئ الأساسية لليكود: مبدأ أرض إسرائيل الكاملة (بدون تنازلات وحلول وسط)، وتوسيع أقصى للاستيطان والمستوطنات اليهودية في كل مناطق البلاد، ووحدة القدس، وتطوير وتوطين أقصى ليهودا والسامرة، والحفاظ على هضبة الجولان وتطويرها، ورفض

مطلق للدولة الفلسطينية داخل أرض إسرائيل، وكفاح متواصل لا هوادة فيه من أجل إلغاء اتفاقيات أوسلو..".

ولم يسبق أن قرأت، عبر السنوات الماضية، تحديداً من جانب شامير لمعالم سياسة "إسرائيل الكبرى" بهذا القدر من الوضوح، سواء حين كان رئيساً للكنيست أو رئيساً للوزراء، أو شريكاً فى "حكومة الرأسين". فهل هذا التحديد هو وليد "مرحلة نتنياهو"، مرحلة الخطر الحقيقى على الأرض المحتلة ككل، من الجولان إلى القدس وغزة؟ مرحلة "موت أوسلو" (غير مأسوف عليها منى) على يدى نتنياهو وحزبه وتحالفه الحاكم، ومرحلة الاستيطان فى "جبل أبو غنيم" وفى "رأس العامود"، والأصح أنها مرحلة "اليمين" الصهيونى حاكماً فى ظل ظروف تدفعه إلى الإفصاح عن نواياه وأهدافه، كما لم يفعل من قبل .. ولا حتى فى ظل بيجين وحكومتيه الأولى والثانية، منذ تولى هذا اليمين الحكم فى إسرائيل بعد انتخابات ١٩٧٧ .. وينبغى هنا التحفظ قليلاً، إننا نحن العرب ـ بصفة عامة ـ لا نتابع بشكل يومى وبالتفصيل ما يحدث فى داخل إسرائيل. ولا تزال مراكز بحوثنا ودراساتنا متخلفة فى هذا المجال، وقاصرة، بل هى عاجزة. ويكفى أن نتذكر – على سبيل المثال – اختفاء الدوريات التى كانت تقوم بمتابعة أهم الاتجاهات فى الصحف الإسرائيلية. فيوماً ما كان لدينا نشرة خاصة بأقوال كبار المسئولين فى داخل إسرائيل!!

معنى هذا أن تحليلاتنا هامشية، لا تغوص فى العمق، أو على الأقل تفتقد الشمول، والإحاطة ـ كما يجب ـ بما يجرى ويحدث ويقع فى داخل إسرائيل. وإزاء ذلك، لا نملك إلا اعتبار أو حتى ادعاء أن ما نقرأه وما يقع تحت أيدينا هو "عينة ممثلة"، كما يقول رجال الإحصاء.

ومن ناحية الكتابة والتعبير، فإن كتابى نتنياهو "مكان تحت الشمس" و "مكافحة الإرهاب" لا يختلفان كثيراً عن نتنياهو فى خطبه وأحاديثه وبياناته بعد أن تولى مقاليد السلطة فى إسرائيل، مع ملاحظة أن ادعاءاته أصبحت أكثر فجاجة وغلظة. إنه يتحدث على المكشوف. لا يخفى شيئاً، ولا يدارى شيئاً مهما حاول أن يبدو "دبلوماسياً". وفى أحيان كثيرة وغالبة يبدو فى غير حاجة إلى ذلك، إنه

يتحدث على رءوس الأشهاد كما يفعل أمثاله "جرانوفسكى" فى روسيا و"لوبان" فى فرنسا. والثابت - فى تقديرى - أن اليمين الصهيونى هو الأكثر تعبيراً عن الصهيونية إنه الصهيونية حقاً. أما اليسار الصهيونى فهو يسار مخادع ومراوغ، يعطى من طرف اللسان حلاوة ثم "يصفُ" فى إحدى خالات اليمين، بشكل أو آخر، وبقدر أو آخر.

ولكى نتابع "نتنياهو" ما بعد كتابيه اللذين سبقت الإشارة إليهما، نعيد هنا قراءة ٣ أحاديث من أحاديثه فى ضوء برنامج الليكود الانتخابى، والبرنامج الحكومى الذى قدمه نتنياهو إلى الكنيست فى منتصف يونيه ١٩٩٦، وهو يقول: "إن الصهيونية لم تمت، على الرغم من ألهم فى دوائر معينة وضعوها بين قوسين. لدينا شباب رائع مستعد للتجنيد للمهمات القومية. ونحن سنشجع هذه الروح، سنشجع الاستيطان الطلائعى فى أرض إسرائيل: فى النقب والجليل، فى يهودا والسامرة، فى غزة والجولان. إن المستوطنين هم الطلائعيون الحقيقيون فى أيامنا. وهم - لذلك - يستحقون كل دعم وتقدير. لكن، أولاً وقبل كل شئ، سنحافظ على ونعزز القدس عاصمة إسرائيل الأبدية، كمدينة موحدة وكاملة تحت سيادة دولة إسرائيل".

هذا هو نتنياهو على حقيقته .. إنه "مستوطن"، حيث استولى "المستوطنون" بعد انتخابات مايو ١٩٩٦ على الكنيست، كما قاموا بتوزيع قواتهم على الحكومة. فقد فرض (ومعه جيشر وتسومت) أن يؤكد فى برنامجه الانتخابى أنه "سيدعم الاستيطان، وسيلغى قرار تجميد الاستيطان". وفى جميع البرامج الانتخابية للأحزاب التى شكلت حكومة نتنياهو هناك حديث عن "أرض إسرائيل".

على سبيل المثال، يقول برنامج الليكود - جيشر - تسومت: "إن حق الشعب اليهودى فى أرض إسرائيل حق أزلى غير قابل للطعن".

ويقول برنامج الحزب القومى الدينى (المفدال): "يؤيد المفدال المبدأ الذى وجه الصهيونية الدينية منذ نشأتها. أرض إسرائيل من أجل شعب إسرائيل فى هدى توراة إسرائيل. وسيعمل من أجل التحقيق الكامل لهذا المبدأ".

ولا يكتفى "المفدال" بذلك بل يضيف: "الاستيطان اليهودى فى جميع أنحاء أرض إسرائيل هو أساس سيطرتنا على البلد و (أساس) أمن إسرائيل. ولذلك ينبغى تعزيزه، وينبغى لأى اتفاق سياسى ضمان عدم اقتلاع أية مستوطنة يهودية".

أما "الطريق الثالث" فقد نص برنامجه على: "للشعب اليهودى الحق فى أرض إسرائيل، وطنه التاريخى"، وسنضمن السيطرة على المناطق الحيوية، و "لن تُزال مستوطنات".

ويقول برنامج "إسرائيل بعلياه" ما يلى: "للشعب اليهودى حق فى أرض إسرائيل غير قابل للتصرف فيه".

إن "أرض إسرائيل" فكرة محورية فى عقل اليمين الصهيونى، وفى عقل نتنياهو بالتالى. ويجب أن نلاحظ هنا أن "ارتس يسرائيل" أى أرض يسرائيل تستخدم — كما يقول د. عبد الوهاب المسيرى فى "موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية" — "للإشارة لأرض فلسطين وما حولها قبل وبعد الهجرة الصهيونية. وحدود الأرض أو ارتس يسرائيل غير معروفة على وجه الدقة لأنها مقولة دينية ثابتة وليست مقولة جغرافية تاريخية متغيرة".

ويضيف الدكتور المسيرى: "يصر الصهاينة على عدم الإشارة إلى فلسطين إلا باعتبار أنها ارتس يسرائيل التى لم يطرأ عليها أية تغيرات تاريخية سكانية، وما حدث من تغيرات فهى طارئة ولا تمس الجوهر الساكن المقدس الذى لا يتغير. وقد أكد مناحيم بيجين هذه النقطة في حديث له فى إحدى مزارع الكيبوتس التابعة للمابام، حيث أخبر أعضاء الكيبوتس بأن اليهود لو تحدثوا عن فلسطين بدلاً من ارتس يسرائيل، فإنهم يفقدون كل حق لهم فى الأرض، لأنهم بذلك يعترفون ضمناً بأن هناك وجوداً فلسطينياً".

وعلى هذا النهج نفسه يسير نتنياهو، وخلاصة أقواله "معارضته لتقسيم أرض إسرائيل" حسب تعليق "هاآرتس" فى ٢٤ نوفمبر ١٩٩٦، والتى أضافت أنه من هذا الموقف "تنبع معارضته الهجومية لإقامة دولة فلسطينية. ويبرر نتنياهو موقفه برؤيته المبدئية لإسرائيل كدولة معرضة للخطر ومكشوفة لمؤامرات الإسلام

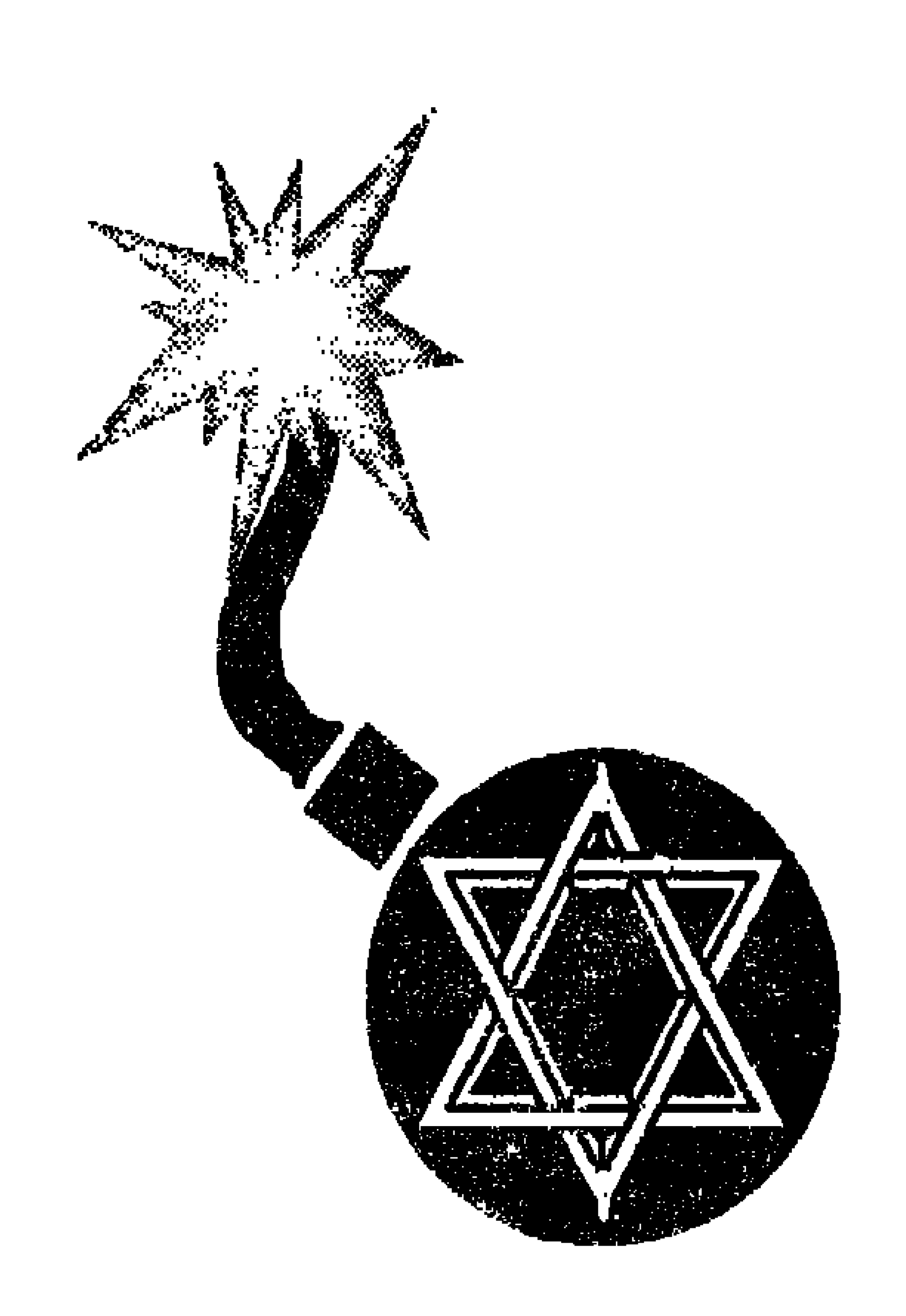
المتطرف، ولكنه متهم بأن تفسيراته الآنية تأتى للتغطية على رغبة اليمين فى التمسك بأرض إسرائيل الكاملة، وليكن ما يكون".

أما "بن كسفيت" فى "معاريف" (٢١ نوفمبر ١٩٩٧) فقد صور نتنياهو تصويراً دقيقاً وقال إنه "خرج فى رحلته البحرية من ميناء الوطن أو من نتيجة الانتخابات الأخيرة، ومن يعتقد أن نقطة الهدف هى التوصل إلى تسوية دائمة مع الفلسطينيين لا يفهم قائد المدمرة فهماً سليماً، حيث إن هدفه الأساسى هو الانتخابات القادمة. وكل ما سيأتى على الطريق الوسيلة وليس الغاية". ومن هنا يأتى الحديث عن "حكومة الوحدة الوطنية" فى إسرائيل خروجاً عن المسار. إن نتنياهو قد ارتاح إلى حد كبير إلى ائتلافه، وأعضاء الائتلاف ارتاحوا إليه. وما يثور من خلافات يتم جسره وتغطيته، ويجرى الانطلاق وبسرعة على الطريق الأساسى زيادة الاستيطان ـ مستوطنات ومستوطنين ـ وفى أسرع وقت.

والمستوطن الصهيونى بطبعه عنصرى خالص .. ونتنياهو – فى هذا الشأن – هو خلاصة العنصرية الصهيونية، منذ هرتزل وحتى اليوم.



العنصر الخالص



"من هو شعب فلسطين؟ لا أعرف شعبا بهذا الاسم"
جولدا مائر

العنصرية الصهيونية وعنصرية الكيان الصهيونى واحد من الموضوعات الأساسية فى الكتابات العربية بعامة، عن إسرائيل والصهيونية. وربما لا يوجد موضوع حظى بكم الكتابات العربية التى حظى بها هذا الموضوع. وقد تعددت أوجه معالجته، البعض منا تناوله من الجانب الدينى، بحثاً وتنقيباً في التلمود وحتى فى التوراة، ثم فى القرآن الكريم، ونسى هؤلاء أنهم - مهما حسنت نواياهم - يقعون - شاءوا أم أبوا - فى خطأ يصب فى النهاية فى مصلحة العدو. فلو تحدثنا بمنطق أن "يهود اليوم" الذى يعيشون بالاغتصاب والعدوان فى فلسطين، هم امتداد ليهود الأمس، الأسباط وبنى إسرائيل، فإن هذا المنطق يصب فى طاحونة الفكرة الصهيونية التى تقوم على ما تسمية "وحدة الشعب اليهودى"، بكل ما يترتب ويتفرغ عن ذلك من نتائج، وهى - عند التحليل الأخير - نتائج خطيرة. البعض الآخر من الكتاب والمتخصصين العرب حاول أن يدلل على عنصرية الصهيونية وإسرائيل بجمع ورص عشرات من البيانات والكلمات والأقوال التى أدلى بها الزعماء والمفكرون والكتاب والزعماء الصهاينة من هرتزل إلى نتنياهو. لكن الفريق الثالث هو الذى اتبع النهج التحليلى الواقعى، فجمع بين التاريخ والأقوال والأفعال، باحثاً فى "الشخصية الإسرائيلية"، وكيف مارست العنصرية بشكل عملى وفج وخطير ضدنا نحن العرب، فلسطينيين وغير فلسطينيين. إن الصهيونى الحقيقى، الصهيونى الكامل والخالص، هو الذى يؤمن بأن "العربى الجيد هو العربى الميت"، ومن ثم فإنه يتساءل مع جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل فى النصف الأول من السبعينيات "من هو شعب فلسطين؟ لا أعرف شعباً بهذا الاسم". فالصهيونية - فكرة وممارسة - تقوم على تغييب وإنكار الآخر، أى إنكارنا نحن العرب، وذلك منذ رأوا أن "فلسطين أرض بلا شعب".

ومن أسف أننا لم نتعمق في دراسة وبحث وفحص "العقل الصهيوني". وكثير منا نحن العرب يظن أن نظرة الصهاينة إلى فلسطين على أنها أرض بلا شعب هي "نظرة كلامية"، ويتجاهلون أن الصهاينة كانوا يعتقدون في ذلك ويؤمنون به، وكان اعتقادهم في ذلك راسخاً.

وبعضهم في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فوجئ عند هجرته إلى فلسطين بأنها أرض مسكونة، وأن هناك "ناساً" يعيشون عليها. ونفر من هؤلاء أصيب بـ "لخبطة"، وآخرون أصيبوا بخيبة أمل، وفريق ثالث رأى ألا يعبأ بهذا الشعب الفلسطيني، وينظر إليه على أنه غير موجود. ومن أوتى من هؤلاء قدراً من الاتساق مع الذات اضطر إلى العودة من حيث أتى، وهؤلاء نادرون جداً بين الصهاينة. وهناك من الصهاينة من استنكر الأساليب الصهيونية في غزو فلسطين واستعمارها، وفضل البقاء على الأرض المغتصبة، ثم خرج علينا ليزعم أنه من أنصار "السلام" و "دعاة التسوية".

إذن الصهيوني الحقيقي، الكامل، الخالص هو ـ كما سبق القول ـ كائن بشري عنصري عدواني، لا يكف عن ممارسة عدوانيته ضد عدوه العربي. وكل يوم يمر يكشف أمامنا أشكالاً جديدة من الممارسات العنصرية الصهيونية. وإذا عرفنا عدونا على حقيقته، فإن هذه الممارسات يجب ألا تهزنا، بل يجب بدلاً من ذلك أن تستفزنا فتدفعنا إلى التفكير والعمل لكيفية اتقائها والقضاء عليها. ولو أننا أدركنا حقيقة ما جرى وما حدث في صبرا وشاتيلا، واتخذنا ما يجب اتخاذه من إجراءات وأعمال، أي من رد فعل مضاد لفعل ومساو له في القوة، لما واصلت إسرائيل، ولما واصل الإسرائيليون أساليبهم العنصرية ضدنا، والتي كان من آخرها اتخاذ مواطنين عرباً فلسطينيين حقول تجارب لأدوية خطيرة تعرض حياتهم للخطر، ومنح شركات أدوية إسرائيلية التراخيص اللازمة، وربما القانونية، للقيام بذلك!!

ومثل هذا التصرف العدواني العنصري تصرف متكرر وسلوك شبه ثابت من قبل الصهاينة ضد العرب، العرب عامة والفلسطينيين خاصة. لعل الكراهية العميقة والحقد الأعمى الذي يكنه الصهاينة، في إسرائيل وفي خارجها، للفيلسوف

المعروف رجاء جارودى يرجع إلى تركيزه على هذه الفكرة، وإلى تأكيده أن التصرف العنصرى تصرف "أصيل" و "راسخ" فى العقل الصهيونى. وإذا كان الصهاينة قد وجدوا ما قد يختصمون فيه مع جارودى فإن شخصاً آخر من بنى ديانتهم قد تفوق على جارودى فى تعميق هذه الفكرة، وهو الدكتور إسرائيل شاحاك الذى يشن منذ عام ١٩٦٨ حرباً شعواء ضد "عنصرية دولة إسرائيل"، وهذا عنوان أحد كتبه. ولكن أهم وأخطر ما كتب شاحاك هو كتابه الذى توجد له أكثر من ترجمة بالعربية، وهو عن التاريخ اليهودى والدين اليهودى. إن شاحاك يطلعنا على ما لم يطلعنا عليه أحد من قبل، من عنصرية إسرائيل والصهيونية. إنه يغوص فى الأعماق، ويفضح ويكشف ما لم يفضحه أو يكشفه أحد آخر ولو أن إنساناً غير يهودى، كتب بعض ما كتب شاحاك فإن أقل تهمة كان سيلقاها من الصهاينة عى تهمة النازية، والفاشية والعداء للسامية! وإن كان بعض الإسرائيليين لم يتردد فى اتهامه بمعاداة بنى جنسه، ودعوته إلى الخروج من إسرائيل، لأنه عار عليها! وجاء فى إحدى هذه الدعوات: "إننا نناشد الطلاب مقاطعة محاضراته،. (أى محاضرات شاحاك فى علم الكيمياء العضوية فى الجامعة العبرية، فى القدس) ونطالب الجامعة بفصل هذا الملحد والمدنس للمقدسات ونطالب زملاءه بمقاطعته وأنت يا شاحاك، ماذا تفعل فى بلادنا، اذهب وغير اسمك إسرائيل الذى يدنس أرض إسرائيل".

ومن المثير للأسف، بل وللأسى، أن كتابات شاحاك ليست شائعة ولا منتشرة فى الوطن العربى بالقدر الذى تستحقه، وهى كتابات تبين أن "المؤسسة الصهيونية" والكيان والمنظمة، قد جعلت العرب فئران تجارب لأساليبهم العنصرية. ولا بأس هنا، لتبيان ذلك من أن نستعرض صفحات من كتاب شاحاك عن "التاريخ اليهودى والدين اليهودى" وهى صفحات تتحدث عما يسمى "طهارة السلاح" ومدى شرعية قتل المدنيين.

تحت عنوان "القتل وإبادة الجنس" يقول شاحاك: "إن العديد من المفسرين الدينيين (اليهود) توصلوا إلى نتيجة تقول: إنه فى حالة الحرب، يمكن أو حتى يجب

قتل جميع المنتسبين إلى شعب معاد. ويلاحظ شاحاك أنه منذ عام ١٩٧٣، أذيعت هذه العقيدة على نطاق واسع لإرشاد الجنود المتدينين. وتم نشر هذا بشكل رسمي في كتيب صادر عن قيادة المنطقة الوسطى في الجيش الإسرائيلي. في هذا الكتيب، كتب الكاهن الأول في القيادة، "عندما تلتقي قواتنا بمدنيين خلال الحرب أو خلال ملاحقة ساخنة أو غزو". ولم يكن مؤكداً أن أولئك المدنيين غير قادرين على إيذاء قواتنا، فوفق أحكام الهالاخاة (= الشريعة) يمكن بل يجب قتلهم .. والثقة بعربي غير جائزة في أي ظرف إذا أعطى انطباعاً بأنه متحضر في الحرب، عندما تهاجم قواتنا العدو، فإنه مصرح لها، بل هي مأمورة وفق أحكام الهالاخاة، بأن تقتل حتى المدنيين الطيبين، أي الذين يبدو ظاهرياً أنهم طيبون".

ثم يذكر شاحاك أن هذه العقيدة مشروحة في رسائل متبادلة بين جندي إسرائيلي شاب وحاخامه، وقد نشرت في الكتاب السنوي لإحدى أهم الكليات الدينية في إسرائيل، وهي كلية "ميدراشيات نوعام" التي تلقى تعليمهم فيها قادة ونشطاء الحزب القومي الديني (المفدال) وجوش إيمونيم، أي كتلة الإيمان. ويسجل شاحاك ملاحظة مهمة وهي أن هذا الكتاب السنوي يصدر باللغات العبرية والإنجليزية والفرنسية، لكن الرسائل التي يذكرها والمتبادلة بين الجندي والحاخام واردة فقط في الطبعة العبرية. إذن ماذا تقول هذه الرسائل؟

الرسالة الأولى من الجندي موشيه إلى الحاخام شيمون ويزر، وفيها يقول الجندي: في إحدى المباحثات في مجموعتنا، ثار الجدل حول "طهارة السلاح". وبحثنا ما إذا كان مسموحاً قتل الرجال غير المسلحين، أو النساء والأطفال، أو ربما الانتقام من العرب؟ وعندها أجاب كل واحد حسب معلوماته، لم أستطع التوصل إلى قرار واضح، عما إذا كان يجب أن يعامل العرب كالعماليق، أي أن المرء مسموح له أن يقتلهم حتى يمحي ذكرهم تحت السماء، أو أنه يتوجب شن حرب عادلة، أي أن يقتل المرء الجنود فقط؟

ويمضي الجندي الإسرائيلي في رسالته عارضاً على الحاخام مشكلة ثانية، وهي "هل يسمح لي أن أعرض نفسي للخطر بإبقاء امرأة حية؟ فقد كانت هناك

حالات ألقت النسوة فيها قنابل، أو هل يسمح لى بأن أعطى العرب الذين يرفعون أيديهم ماء؟ لأنه قد يوجد سبب للخوف من أنهم يقصدون خداعنا، وسيقتلوننا. وقد حصلت حوادث عديدة".

رد الحاخام على الجندى موشيه رداً مطولاً ومفصلاً وعرض فيه وجهات نظر مختلفة فى القضايا التى طرح الجندى أسئلته حولها. ولكن المثير فى الأمر هو فهم الجندى لرسالة حاخامه، وهو ما أوضحه موشيه فى رسالة بعث بها إلى الحاخام شيمون ويزر. ويورد شاحاك نص هذه الرسالة وهو:

إلى صاحب الشرف، حاخامى العزيز.

أولاً: آمل أن تكون وعائلتك بصحة جيدة، والكل بخير.

تسلمت رسالتك الطويلة، وأنا ممتن لرعايتك الشخصية لى، لأنى أعلم أنك تكتب لكثيرين، ومعظم وقتك مستغرق فى دراسة برنامجك الخاص، لذا شكرى لك عميق جداً. أما بالنسبة للرسالة فقد فهمتها كما يلى: خلال الحرب، ليس مصرحاً لى فحسب، بل مأمور بأن أقتل أى عربى أصادفه، رجلاً كان أو امرأة، إذا كان هناك سبب للخوف من أن يساعدوا فى الحرب ضدنا. مباشرة أو مداورة. الأمر الذى يهمنى هو أنه على أن أقتلهم ولو كان ذلك يتعارض مع القانون العسكرى. أعتقد أن مسألة طهارة السلاح هذه يجب أن تحال إلى المعاهد التعليمية، وفى الأقل الدينية منها، كى تحدد موقفاً من هذا الموضوع ولا تتوه فى حقل "المنطق" الواسع، خاصة حول هذا الموضوع. وينبغى أيضاً شرح الأحكام كما يجب بتطبيقها فى الممارسة، لأنى - وآسف لقول هذا - سمعت أنواعاً مختلفة من "المنطق" من رفاقى المتدينين. آمل أن تنشط بالنسبة لهذا الموضوع، حتى يتعلم أولادنا خط أسلافهم بوضوح ومن دون لبس.

هذه – فى الحقيقة – جذور العنصرية الصهيونية، كما أوضحها كثيرون، ولكن شاحاك تفوق عليهم جميعاً، سواء فى ممارساته دفاعاً عن حقوق الإنسان، أو كتاباته التى تضرب فى العمق، وتغوص فى الأحشاء، أحشاء الكيان الصهيونى، والفكر الصهيونى أيضاً. ومن ثم يبدو طبيعياً جداً تصرف جولدا مائير حينما قالت

إنها تصحو كل صباح لتفكر فى عدد الأطفال العرب الذين ولدوا فى الليلة الماضية، وقالت إن الحل للتغلب على هذه الولادات، يكمن فى توسيع حدود "إسرائيل"، وفى سبيل هذا التوسع فإن إسرائيل تمارس أبشع وأسوأ أشكال العنصرية، لإيمانها بأن مثل هذا التوسع لن يتم إلا على جثث العرب، فهذا هو الطريق الذى رسمه آباء الصهيونية من هرتزل وحتى اليوم.

إسرائيل تتحدى، فمن يجرؤ على الكلام؟ ذلك السؤال ـ الصرخة أطلقه البرلمانى الأمريكى بول فيندلى فى وجه أبناء شعبه، فابتلعوا السؤال، وذهبت الصرخة فى البرية دون جواب إلا بالسلب والنقيض، والمزيد من الحماية للتوسع الصهيونى وللعنصرية الصهيونية. والأحداث شاهدة والحقائق ماثلة تفقأ عيون الجميع. فى نوفمبر ١٩٧٥، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها الذى وصف الصهيونية بأنها "شكل من أشكال العنصرية". كان الوصف صحيحاً والتوصيف قريباً من الدقة، لأنه لو أردنا التدقيق والتحقيق لقلنا إن الصهيونية هى العنصرية، عنصرية النصف الثانى من القرن العشرين، دون مراء أو خداع. لكن قرار الجمعية العامة أغضب الصهيونية وكيانها، كما أغضب راعيهما الأمريكى، الذى أقسم منذ ذلك اليوم أنه لن يهدأ له بال، ولن يرتاح له خاطر، ولن يقر له قرار حتى يتم إسقاط وصف الصهيونية بالعنصرية، فى هذا التنظيم الدولى الرئيسى.

وجمعت الخارجية الأمريكية كل قواها، واستجمع البيت الأبيض كل عزيمته. وفى ١٦ ديسمبر ١٩٩١ ـ نعم وبالطبع ١٩٩١ ـ تم تراجع الجمعية العامة للأمم المتحدة عن قرارها. وأصبحت الصهيونية بريئة من العنصرية ـ فى هذا المحفل، وقد تم كل هذا فى وقت ارتفع فيه وطغى حديث الشرعية الدولية، وهى على الأرجح شرعية من طراز خاص بحماية الصهيونية وكيانها، وبإسقاط حقوق العرب وفلسطينهم وإهدار دمهم. وفى سبيل أن تظل راية الصهيونية وكيانها مرفوعة وخفاقة، مع إغضاء البصر عمداً عن كل الممارسات الصهيونية العنصرية، وهى ممارسات تفوقت ـ فى ظل الحماية الأمريكية ـ على ممارسات النازية، والفاشية، التى تعلمت منهما الصهيونية الكثير، ثم فاقتهما فى الكذب والادعاء، مما جعل كثرين

لا يكتشفون طبيعة وحقيقة هذه الممارسات، التى تتكرر بشكل يومى فى داخل الأراضى العربية المحتلة، سواء منذ عام ١٩٤٨ أو منذ عام ١٩٦٧. إن غض البصر عن هذه الممارسات سيدفع من يمارسونه ثمنه غالياً، وفى وقت غير بعيد. ولم تقتصر هذه الممارسات على تحويل بعض العرب والفلسطينيين إلى فئران تجارب لشركات الأدوية الإسرائيلية، فقد سبقت ذلك عمليات عنصرية عديدة مثل إجهاض الحوامل، ورش مواد سامة على ملابس تلميذات المدارس، وتسميم مياه الشرب، فضلاً عن التعذيب غير البشرى فى السجون ضد المعتقلين والسجناء، ثم قتل الأسرى، كما تبين من اعترافات وشهادات أدلى بها قادة صهاينة وقالوا فيها إنهم قتلوا أسرى مصريين أثناء عدوانى ١٩٥٦ و ١٩٦٧.

فى ٤ أغسطس نشرت صحيفة "معاريف" تحقيقاً بعنوان "قتل جماعى" اعترف فيه العقيد (احتياط) دانى وولف بقتل عمال تراحيل مصريين فى اليوم الثانى من العدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦، ونقلت الصحيفة عنه قوله: "كانوا ٢٠ أو ٣٥ شخصاً. لا أتذكر عددهم بالضبط. كانوا جميعاً يرتدون جلابيب بيضاء، كانوا يعملون فى تعبيد الطرق. كانوا بؤساء، يؤدون العمل الصعب فى قلب الصحراء، كانوا يتأوهون من الجوع والعطش. نظرياً، كان يمكن إبقاؤهم فى أماكنهم مع قليل من المياه والطعام. لكن الحقيقة أن المياه لم تكن تكفينا نحن، وحتى لا نفهم خطأ، أنا لا أحاول البحث الآن عن مبررات لما فعلنا. لكن فى الحقيقة، لم يكن هناك ما يمكن أن نفعله مع هؤلاء العمال. كنا نتأهب للتحرك. فقد تلقينا أمراً بالتقدم إلى الأمام، وهم معنا فى وسطنا. لم يكن فى الحسبان أن نطلق سراحهم، لأن آخر شىء يريده أى واحد منا هو أن نقدم للمصريين معلومات مجانية حتى يعثروا علينا وينقضوا على قواتنا.. لقد قذفوا بنا ـ نحن القوة ٨٩٠ ـ على بعد مئات الكيلومترات من الحدود، فى قلب أرض العدو. وبدون أى تعزيزات أو أى شىء. إنه موقف غير سهل. أنا شخصياً ما كنت أطلق رصاصة واحدة على هؤلاء العمال، حتى الموقف الذى كنا فيه، ولكن حدث أن البعض أطلق النار".

وكان قائد الكتيبة الذى أصدر الأمر بإطلاق النار هو رفائيل إيتان الذى

أصبح بعد ذلك رئيساً للأركان أثناء غزو لبنان عام ١٩٨٢، وهو أحد المسئولين عن مجزرة صابرا وشاتيلا، ثم أصبح وزيراً فى وزارة نتنياهو، وقال قولته البذيئة والوقحة التى وصف فيها العرب بأنهم "مجرد صراصير سامة".

وسجل العنصرية الصهيونية طويل طويل، وشواهده عديدة وشهوده عديدون، وهو لم يبدأ مع وصول الصهاينة إلى أرضنا، بل بدأ منذ كانت الحركة الصهيونية ومنظمتها مجرد فكرة فى عقل تيودور هرتزل، وفى مذكراته عشرات بل مئات الصفحات التى تنضح بالعنصرية المقيتة ضد العرب والفلسطينيين. فقد كتب هرتزل فى مذكراته فى ١٢ يونية ١٨٩٥ عن نواياه ضد الأصحاب الشرعيين للبلاد التى يريد استعمارها، كتب ما يلى: "إذا رحلنا إلى منطقة فيها من الحيوانات البرية ما ليس اليهود متعودين عليها، مثل الأفاعى الكبيرة وغيرها، سأستخدم أهل البلاد ـ قبل أن أعطيهم أعمالاً فى البلاد المجاورة ـ ليقضوا على مثل هذه الحيوانات، جوائز كبيرة لمن يأتى بجلود الأفاعى وبيضها إلخ".

وفى ٢٣ يونيو من العام نفسه، سجل هرتزل فى مذكراته ما يلى: "ليكن السير فى مناطق الأوبئة سريعاً، وفى مثل هذه المناطق يجب أن يكون العمال على السكك الحديدية والطرق من أهالى البلاد، وكذلك عند تجفيف المستنقعات فيما بعد، لأن أهل البلاد متعودون على هذا الطقس، وإلا كثرت نسبة الموت بيننا، مما يسىء إلى معنويات الشعب الذى يكون على أية حال خائفاً من الأمر المجهول".

وفى أكتوبر ١٨٩٨، زار هرتزل فلسطين، حيث علم أن المرض يفتك بالمهاجرين الصهاينة، فقرر أن يعهد بالأعمال التى تعرض أصحابها للخطر، إلى العرب بدعوى أن لديهم مناعة ضد هذه الأمراض!.

هل هناك عنصرية أكثر من هذا. وإذا لم تكن هذه هى العنصرية فماذا تكون؟

لقد كان هرتزل وبحق، الصهيونى العنصرى الأول، وقد سار الباقون على دربه من وايزمان وماكس نوردو وجابوتنسكى وبن جوريون ومناحيم بيجين وعشرات غيرهم بل المئات من السياسيين والعسكريين الصهاينة، فمنهم من وضع

الأسس النظرية لهذه العنصرية الصهيونية، ومنهم من قام بتطبيقها. لكن الملاحظ، أنه مع مضى السنين، تتفوق الصهيونية ويتفوق الصهاينة على أنفسهم فى الممارسة العملية. إنهم يكشفون عن وجههم الحقيقى والقبيح، فحين يشعرون بالقوة يكشفون حقيقتهم، ويرون أنهم لم يعودوا بحاجة إلى خداع، ولا إلى كلام معسول. فى هذه الحالة يرون أنه ليس لديهم ما يخشونه، أو ما يخافونه، أو يخشون من أحد لمعرفته. ونستطيع أن نتأكد من صحة هذا الاستنتاج لو قارنا بين أقوال الصهاينة قبل عدوان يونيو وبعده، أو قبل كامب ديفيد وبعده، أو لو قمنا بعملية مسح شامل لمذكرات الزعماء الصهاينة، وكيف تعرى وجههم العنصرى من زعيم لآخر أتى بعده. فمن المؤكد أن العنصرية فى كتابات بيجين أكثر فجاجة مما هى عليه فى كتابات بن جوريون، لكنها فى كتابات هذا الأخير، أوضح بكثير مما جاء فى مذكرات حاييم وايزمان. وهكذا، كلما جاء زعيم صهيونى تفوق على من قبله فى عنصريته أو فى صهيونيته، فهما فى الخطيئة سواء. ولعل هذا ما يتبدى واضحاً من كتابات، أمثال مائير كاهانا وبنيامين نتنياهو. فى كتابه "شوكة فى عيونكم" تبدو العنصرية الصهيونية عند كاهانا واضحة كل الوضوح. إنه يدعو صراحة إلى تطهير "أرض إسرائيل" من الدنس العربى. ويقول: "لا يمكن أن يكون هناك آخرون يعيشون بحرية إلى جانب الشعب الإسرائيلى فى أرضه المختارة له، وأن يشاركوه فى السيادة والملكية لهذه الأرض".

ثم يضيف كاهانا: "إن (عرب إسرائيل) يشكون تدنيس الله (المعصية)، إذ أن عدم تسليم العرب بالسيادة اليهودية على "أرض إسرائيل" على الرغم من وجود العهد بين اليهود وبين رب "إسرائيل" يعتبر رفضاً لسيادة الله رب "إسرائيل" وملكوته، "لذا فإن طردهم من البلاد هو عمل أكثر من كونه قضية سياسية، إنه موضوع دينى، واجب دينى، أمر بإزالة المعصية".

وينهى كاهانا كتابه بالسطور الآتية: "بدل أن نخشى ردود فعل الغرباء إذا فعلنا ذلك (أى طرد العرب) يجب أن نرتعد خوفاً من غضب الله إذا لم نفعل ذلك ونطرد العرب. سنواجه مأساة إذا لم نطرد العرب من البلاد. لذا هيا نطرد العرب

من إسرائيل، ونكون قد جلبنا الخلاص لأنفسنا".

ولا تزال الكاهانية تعشش في إسرائيل وتتوالد، وليس نتنياهو إلا أحد فروعها، إن جوهر كتابه المترجم بعنوان "مكان تحت الشمس"، يكمن في سطر يقول فيه: "إن من يحرم من حمل السيف، سرعان ما ينسى كيفية استخدامه". وكي لا ينسى استخدام سيفه فإن نتنياهو يواصل استخدامه في الجسد العربي، وبعد عام ونصف العام من حكمه واصل الطريق العنصري أكثر من غيره من القادة الصهاينة، ومنطقة السياسي العنصري في ذلك واضح كل الوضوح، وقد أعلنه في حديث مع "هاآرتس" في ٢٢ نوفمبر ١٩٩٦ بقوله: "إن القوة العسكرية شرط للسلام، وإبراز قوة الردع بوضوح شديد هو وحده الكفيل بالمحافظة على السلام وتوطيده". موقف نتنياهو هو أن العرب لا ترهبهم إلا القوة. ولا يجوز التعامل معهم إلا باحتقارهم. هذه قمة العنصرية، التي لا يجوز أن نتعامل معها بمجرد تسجيلها وشجبها واستنكارها وإدانتها. مثل هذا الأسلوب دليل على أن في حياتنا نحن العرب شيئاً خطأً. ويجب أن نتجنب هذا الخطأ، ونتخلص منه. وطريق الخلاص هذا صعب وسهل في وقت واحد.

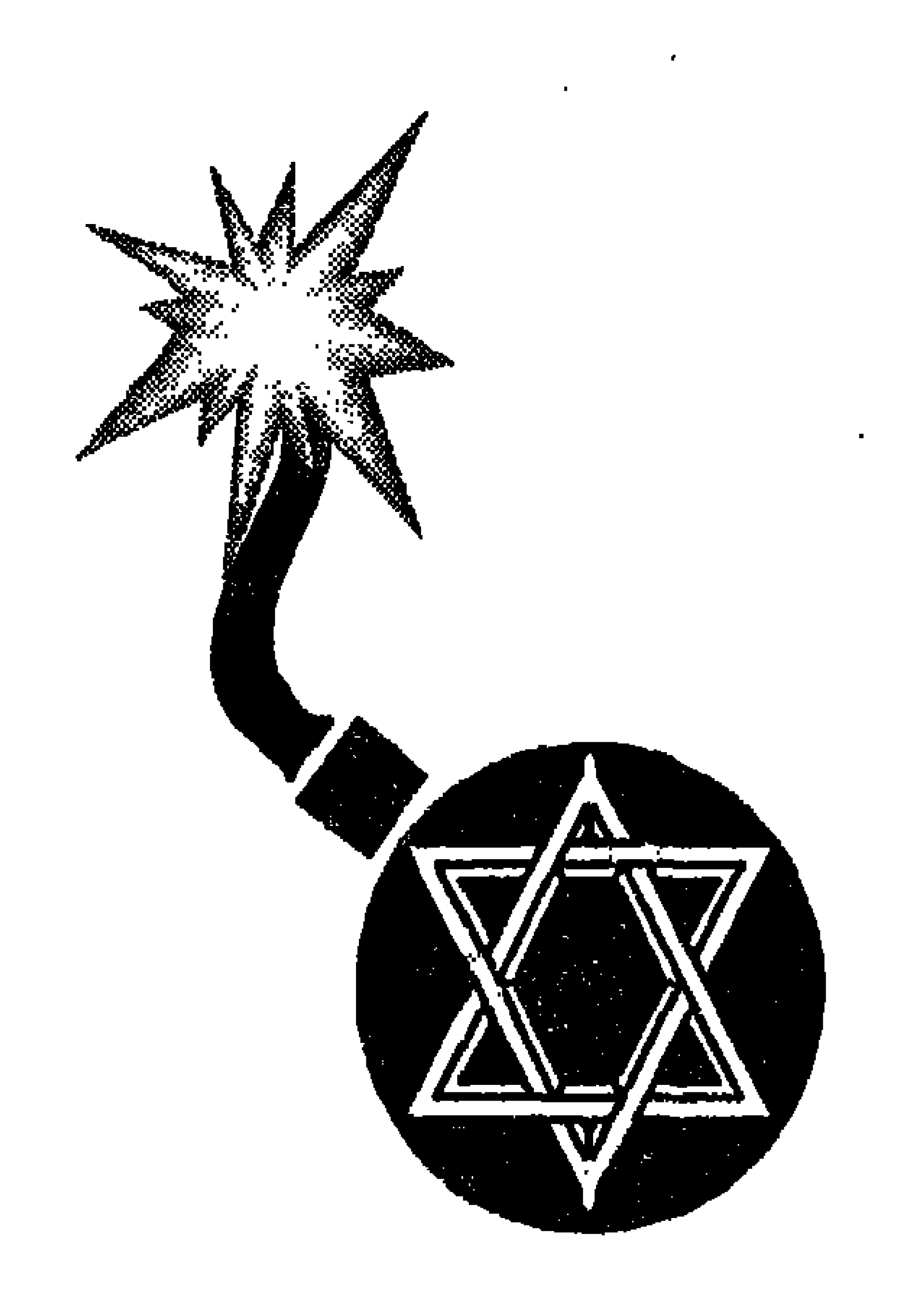
فقد ظن عددٌ من الكتاب العرب أن كتاب نتنياهو "مكان بين الأمم" مجرد وثيقة فكرية، أياً كان قدرها من الهزال والضعف. وعلى هذا الأساس سارعوا يدبجون المقالات ويصدرون الكتب رداً على هذا الكتاب. وكفى الله العرب شر القتال. إن هذا فهم خاطئ، مغلوط ومقلوب، للكتاب والكاتب. "مكان تحت الشمس" هو بالأساس برنامج عمل، والرد الصحيح عليه يكون ببرنامج عمل مضاد. إنه برنامج عمل صهيوني استعداداً للقرن الحادي والعشرين فما أحوجنا نحن العرب لبرنامج مشابه، برنامجنا نحن للقرن الحادي والعشرين، وهذا ما سنفصله بعد قليل.

وبالمثل فإن العنصرية هي جوهر الصهيونية. لكن الرد عليها لا يأتي بموقف عنصري مضاد، بل إن العكس صحيح، إننا نحتاج إلى بعث وكشف أنبل القيم في تراثنا وتاريخنا الذي لم يحتقر أحداً، بل قام على أساس تكريم الإنسان، وعلى أننا

جميعاً لآدم .. وأن لنا في كل ذات كبد أجر. وأن رجلاً دخل الجنة لأنه سقى كلباً ظمآن .. إننا نقيضو الصهيونية خلقياً .. فالصهيوني ـ كما مر بنا ـ رفض أن يسقى الأسير المصرى المدنى جرعة ماء، هذه هي الصهيونية التى تجعل شعبنا فى فلسطين حقل تجارب لأدوية لم تجرب حتى على الحيوانات .. وبجانب ذلك، ومعه، يبقى أن فى القصاص حياة، وأن السن بالسن، وأنه إذا كان بنا قرح فلابد أن يلحق بالعدو قرح مثله. بهذا السرد الثنائى الأضلاع تفر أفاعى هرتزل، وينكسر سيف نتنياهو، ويقاوم الكف العربى شوكة كاهانا.



"القبيح" والرد الصحيح



"خذوا حذركم من هذا الرجل"
مصطفى الحسينى

تلك هي الصهيونية العنصرية، أو العنصرية الصهيونية، وهي صهيونية نتنياهو وعنصريته، فكيف نرد عليها؟ كيف نتعامل معها، وأولاً كيف تعامل بعضنا معها؟

يروى المؤرخون أن صلاح الدين الأيوبى، بطل حطين ومحرر القدس، قال: "لاتظنوا أنى فتحت البلاد بالسيوف، إنما فتحتها بقلم القاضى الفاضل". فقد كان القاضى ابن بيسان وعسقلان وابن مصر أيضاً المتحدث الرسمي باسم بطل التحرير، كما كان كبير إدارييه، أو وزيره وإن شئت فقل "وزيره الأول" أو رئيس الوزراء.

وصلاح الدين لا يضفى على البيسانى – العسقلانى – فضلاً ليس له، إنه يعترف بالفضل للفاضل، وهو أهل له، إذ كان كاتباً من طراز خاص، قام بدور كبير وهائل فى التخطيط والإدارة ليس لدولة صلاح الدين فقط، بل فى الجهاد والفتح، من أجل تحرير الأراضى الفلسطينية من ربقة الاحتلال الفرنجى. وهذا الدور هو الدور الذى يقوم به أصحاب الأقلام، فى كل زمان ومكان، ممن يؤمنون بـ "الدور الكفاحى" للكلمة، ويقومون به ويتحملون أعباءه ومسئولياته، مهما ثقلت، أى أن هذا الدور – لعب – ليس دور كلام والسلام، بل إنه دور "الكلمة المكافحة والمناضلة"، بل دور الكلمة ـ المقاتلة، أو الكلمة ـ الرصاصة، التى تواكب (العمل الجهادى) وتسانده، وتؤازره، فتدفع العدو، وتدافع عن الحق الوطنى والقومى، وتثير حماس المواطنين وتدعوهم إلى العمل والنضال والقتال، كما تقوم بدور فى توعية الآخرين بالحقوق الوطنية والقومية، وتحاول أن تبث الفرقة والخوف فى صفوف العدو، وخاصة بين مقاتليه.

إن الدور الكفاحى للكلمة فى معارك الشعوب هو دور توعية، ودور دعاية، فى وقت واحد، بحيث قد يتعذر أحياناً الفصل بين هاتين المهمتين. وأحياناً

يتعدى دور الكلمة هذا النطاق، فيقوم صاحبها بدور تخطيطى، أى بوضع سياسة معينة وتحديد ملامحها، وكيفية تنفيذها، وإدارتها، حتى تحقق نتائجها على أفضل وجه ممكن، وهذا الجانب من دور الكلمة المكافحة ليس مرتبطاً أو متعلقاً بالناحية العسكرية فقط، إنه أوسع وأكبر من ذلك، إنه يقترب من دائرة وضع الاستراتيجية العليا.

وبالطبع، فإن هذا ليس دور كل كاتب أو مؤلف أو باحث، إنه دور "المفكر" والمفكر الاستراتيجى بشكل خاص، وهؤلاء قلة، عبر العصور، ولكن فى ظل طغيان ما أسميه "الكتاب الصحفى" الذى يمكن وصفه بـ "كتاب سلق البيض" أو كتاب "القص واللصق". وحيث تستطيع المطابع أن تدور لتخرج مئات الكتب كل يوم، فى ظل هذا الوضع ظن كثيرون أنهم يستطيعون أن "يكتبوا" كلمتهم، وينصرفوا أو يتوقفوا، فسيان فعلوا هذا أو ذاك .. والمثل أمامنا واضح، وربما فاضح، فى هذا "الكم" من الكتب العربية التى خرجت رداً على كتاب بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل حالياً، والمترجم إلى العربية بعنوان "مكان تحت الشمس".

لقد تمت ترجمة الكتاب منذ ١٩٩٥، ولكن أحداً لم يلتفت إليه إلا بعد أن هزم نتنياهو فى مايو ١٩٩٦ منافسه شيمون بيريز، واحتل مقعد رئيس الوزراء فى الكيان الصهيونى، عن طريق الانتخاب المباشر من جانب المصوتين .. وفجأة، عرف "كتابنا" أن هناك سياسياً إسرائيلياً اسمه "نتنياهو"، وأنه إرهابى ورجل حرب .. و .. و .. إلخ. وربما لم يتنبه كثيرون إلى أن ظاهرة نتنياهو تنمو فى داخل إسرائيل منذ وآخر الثمانينيات، ولعلى أذكر أن الكاتب مصطفى الحسينى أشار إلى ذلك فى صحيفة "السفير" اللبنانية، منذ عام١٩٨٧ أو ١٩٨٨ .. وإن لم تخنى الذاكرة فإنه توقع فى مقال رصين أن نتنياهو سيكون رئيس وزراء إسرائيل، وقال: إذا لم تخنى الذاكرة - أيضاً - خذوا حذركم من هذا الرجل.

وفى لقاء أخير مع الحسينى فى القاهرة، ذكرته - بتشديد الكاف - بهذا المقال، فسألنى: هل لديك نسخة منه؟ والحصول على نص المقال ليس عملية صعبة، وهو مقال يبين أن هناك كتاباً ومفكرين عرباً يرون العدو - كما يجب أن يرى -

ويرصدون حركاته وتحركاته، ويتوقعون الاتجاه الذى سيسير فيه. ومما يؤسف له أن هؤلاء يكادون يصبحون عملة نادرة فى "سوق" الكتابة العربية، حيث تطرد العملة الرديئة العملة الجيدة، كما يقول الاقتصاديون.

لا أعنى أن الكتب العربية التى صدرت رداً أو تعليقاً على كتاب نتنياهو "مكان تحت الشمس" هى من قبيل العملة الرديئة، لكنى أعنى شيئاً آخر سبقت الإشارة إليه، وهو أن كتاب نتنياهو ليس مجرد كتاب والسلام، إنه فى الأساس (برنامج عمل)، ولا يتم الرد الصحيح عليه بكتاب أو عشرة أو حتى مائة، بل ببرنامج عمل مضاد .. وعندئذ، لا بأس من أن يصاحب هذا البرنامج صدور عشرات الكتب الكلامية والفكرية التى تدحض وتفضح أكاذيب نتنياهو التاريخية والسياسية.

أما أن تصدر عشرات الكتب بعناوين مثل "الكلام الصحيح في الرد على نتنياهو القبيح"!! فإن هذه بضاعة بائرة، وهى بالكاد بضاعة استهلاكية، تدغدغ الحواس، أو حتى تضحك على الذقون، دون أن تتمكن من تقديم خطوة صحيحة فى الاتجاه الصحيح.

إن الهدف ليس النيل من هذه الكتب أو مؤلفيها، لأنهم قد اجتهدوا فإن أخطأوا فإن لهم أجراً، الهدف الأساسى هو تجديد الحديث عن خطورة ظاهرة نتنياهو، وأن هذه الظاهرة لم تؤت نتائجها الكاملة صهيونياً بعد، وفى هذا الإطار، إطار هذه الظاهرة الخطرة فإن كتاب "مكان تحت الشمس" قد لا يقل خطراً عن كتاب تيودور هرتزل "دولة اليهود"، ولا عن كتاب مناحيم بيجين "التمرد". وخلاصة الخلاصة فى تفكير نتنياهو كما يعكسه ويعبر عنه هذا الكتاب هى: إن الصهاينة فى عجلة من أمرهم، اليوم .. وهم يرون أن هذه لحظة مناسبة لإعلان إقامة إسرائيل الكبرى، التى، إما أن تقوم اليوم، وإلا فإنها لن تقوم, ومن هنا، تأتى عجلة نتنياهو وحكومته وعجلة "اليمين الصهيونى" ككل فى العمل من أجل تهويد القدس، وبسرعة، فإما أن يتم هذا اليوم، وإلا فإنه لن يتم أبداً، وهكذا تتوالى خطوات التهويد من رأس العامود، إلى جبل أبو غنيم، إلى تحويل "غوش عتسيون" إلى مدينة، وغير ذلك من

الخطط التى يجرى تنفيذها، ثم نصحو على أخبارها وكأنها أنباء جديدة وخطيرة، كما يحلو لنا أن نصفها، مع أنها ليست جديدة بأية حال من الأحوال.

والسؤال هنا: هل كان نتنياهو واثقاً وهو يكتب كتابه "مكان تحت الشمس" أنه سيصل إلى رئاسة حكومة إسرائيل؟ يبدو أن هذه الثقة لم تكن تنقصه، وأنه اعتبر كتابه برنامجه الانتخابى، بل وبرنامج الحكومة التى سيشكلها، فقد كان برنامج "الليكود" فى انتخابات مايو ١٩٩٦، ثم برنامج حكومة نتنياهو انعكاساً واضحاً لكتاب "مكان تحت الشمس" ولا نتجاوز الحقيقة حين نقرر أنه ما من كلمة فى هذين البرنامجين إلا وتجد أصلها فى "مكان تحت الشمس".

وليس رجماً بالغيب أو توقعاً بعيداً عن الواقع، القول إن هذا الكتاب شارك فى وضعه أكثر من كاتب صهيونى، ولكنه حمل فى النهاية اسم نتنياهو كمؤلف .. إنه نسخة صهيونية غير منقحة من "كفاحى" حيث على إسرائيل أن تضرب العرب، سواء فى حالة الحرب أو فى حالة السلام، السلام الإسرائيلى بالطبع!

يقول نتنياهو: "كلما بدت إسرائيل أقوى، أبدى العرب موافقتهم على إبرام سلام معها، وكلما بدت إسرائيل ضعيفة تشجع العرب لدخول حرب ضدها".

فحتى فى ظل "السلام" يجب أن تظل إسرائيل قوية ومقاتلة، ورادعة، أى معتدية، ومن أهم التصورات التى يقدمها نتنياهو عن العلاقة عن بين إسرائيل والعرب، ذلك التصور الذى شرحه على النحو التالى: "لقد وصف ماكس نورداو – كاتب وسياسى صهيونى معروف – فى أحد مؤلفاته تجربة مشهورة أجراها العالم الألمانى كارل أوجست جبيوس لمعرفة نظام العلاقات بين المفترس والفريسة.

وقد أجريت التجربة على نوعين من السمك، جرى تقسيم حوض ماء إلى قسمين بواسطة حاجز زجاجى، ثم وضعت فى أحد الأقسام سمكة من نوع "كراكى"، ووضعت فى القسم الثانى سمكة من نوع "الشبوط" .. ومنذ اللحظة التى شاهدت فيها سمكة "الكراكى" فريستها سارعت بالهجوم عليها، حيث لم تر الحاجز الشفاف، لذا اصطدمت به بقوة أعادتها إلى الوراء مندهشة، وخرطومها مجروح بصورة بليغة .. وكررت السمكة هجومها عدت مرات، لكنها لم تنجح سوى فى

إلحاق الضرر برأسها وفمها".

ويواصل نتنياهو ناقلاً عن نورداو فيقول: "شيئاً فشيئا بدأت سمكة الكراكى المفترسة تدرك أن قوة خفية وغير معروفة تحمى سمكة الشبوط "الفريسة"، وأن كل محاولاتها لافتراسها ذهبت هباء. ومنذ تلك اللحظة فصاعدا، توقف المفترس عن كل محاولاته لاصطياد الفريسة. عندئذ تم إخراج الحاجز الزجاجى من حوض الماء، وبدأت سمكتا "الكراكى" و "الشبوط" تسبحان معاً جنباً إلى جنب .. وكل ما عرفته سمكة "الكراكى" أنه محظور عليها مهاجمة "الشبوط"، لأن مصيرها سيكون سيئاً ومراً .. وكأن الحاجز الزجاجى الذى سبق أن كان موضوعاً فى الماء، غلف سمكة الشبوط بدرع ضد الهجمات القاتلة التى شنتها عليها سمكة الكراكى".

إن المقارنة بين العرب والكراكى، وبين إسرائيل والشبوط مقارنة واضحة، لكن نتنياهو يأبى إلا يضع النقاط على الحروف فيضيف: "بغض النظر عن طبيعة الدوافع للهجوم، لا مبرر لأى هجوم معروف أن مصيره الفشل، وهذه الحقيقة الأساسية تنطبق على بنى البشر وعلى الأمم، ليس بأقل مما تنطبق على الأسماك".

وهذا هو بالضبط الإدراك الذى بدأ يتعمق شيئاً فشيئاً لدى الأنظمة العربية، حتى أكثرها تطرفاً بالنسبة لإسرائيل، لكن لا يزال من السابق لأوانه القول إن حقيقة وجود إسرائيل أصبحت مترسخة فى الوعى العربى، لأنه إذا ما أزيل الحاجز الدفاعى الواقى لإسرائيل ستعود لتصبح فوراً هدفاً للمفترسين المهاجمين.

ولا ينتظر نتنياهو من يسأله عن هذا "الحاجز الدفاعى الواقى لإسرائيل" فيقول فوراً إنه "نظام الدفاع الإسرائيلى"، وبصرف النظر عن كلمة "دفاعى" المضللة، فإن هذا النظام "يتألف عنده من عدة أسس مهمة هى: "الموارد البشرية والطبيعية المتوفرة لدى دولة إسرائيل، والثروات النفسانية والمادية التى تحميها، والحاجز الطبيعى الذى يفصل بين إسرائيل وبين الجيوش الضخمة فى الجبهة الشرقية، هذا الحاجز هو الجدار الواقى للدولة، السور العالى المتمثل بجبال الضفة الغربية وهضبة الجولان".

أى أن سمكة "الشبوط" التى أتعبت "الكراكى" أصبحت تحتاج إلى "حاجز

زجاجى" من نوع خاص، يتيح لها إنشاء مجالها الحيوى وإقامة إسرائيل الكبرى.

إن هذا الكلام العملى، هذا البرنامج المحدد الخطوات والملامح والأهداف، لا تفيد فى الرد عليه الكتابات فقط، بل يتطلب برنامجاً مضاداً، برنامج عمل أيضاً .. لقد حاول الكتاب العرب الذين كتبوا ردوداً على كتاب "مكان تحت الشمس" أن يفهموا نتنياهو، وأن يقنعوا عرباً آخرين بخطأ كلامه، لكن هذا ليس هو المطلوب، المطلوب هو تغيير نتنياهو، تغيير فكره واتجاهه، أى تغيير إسرائيل. بمعنى أن تكف عن الحلم بأن تكون "دولة كبرى"، هذه خطوة أولى وضرورية، بدلاً من "وجع الدماغ" بكتب الرد على نتنياهو ووصفه بأنه سفاح أو إرهابى أو رجل حرب ... بعبارة أوضح وصريحة ليس المطلوب محاورة نتنياهو، بل ضربه، وبشكل موجع حتى يتراجع عن "إسرائيل الكبرى". هذا هو الرد الحقيقى على نتنياهو وكتاباته وأقواله.

ففى يوم الخميس السابع من أغسطس ١٩٩٧، خرجت الصحف العربية وفى صدر صفحاتها الأولى نبأ عن الاجتماع الذى عقده فى اليوم السابق "مجلس الوزراء الإسرائيلى المصغر للشئون السياسية والأمنية". ونقلت هذه الصحف عن راديو إسرائيل قوله: "إن المجلس المصغر ناقش خلال هذه الجلسة استعداد الجيش الإسرائيلى لحرب محتملة، وكذلك ميزانية وزارة الدفاع لسنة مالية مقبلة". ولم تتردد بعض الصحف فى أن تبرز فى عناوينها الرئيسية وباللون الأحمر – أى فى المانشيت – أن "نتنياهو يستعد للحرب".

وبدا مثل هذا النبأ ومثل هذا العنوان، بدا للبعض مثيراً أو جديداً، وربما ربط بينه وبين انفجارى القدس فى سوق "محنى يهودا" وشارع يهودا وحالة الحصار التى فرضتها إسرائيل على الشعب الفلسطينى فى ظل توقف مسيرة التسوية بشكل شبه نهائى، علنا على الأقل، وفى ظل ما سماه مسئول فلسطينى، هو هانى الحسن عضو اللجنة المركزية لفتح، "موت أوسلو". وهذا الربط ليس خطأ كاملاً، وإن كان حديث الحرب لم يتوقف من جانب إسرائيل، بل إنه أصبح حديثاً علينا ومعلناً فى الفترة الأخيرة، وأخذ أشكالاً خطيرة وصلت إلى حد التهديد المبطن بإمكانية استخدام السلاح النووى، فحديث الحرب فى إسرائيل ليس جديداً ولا طارئاً، ولو

ركزنا على التاريخ القريب، لأمكن القول إنه حديث متردد في وسائل الإعلام الإسرائيلية بشكل بارز وواضح منذ نوفمبر ١٩٩٦. حين راجت على ألسنة المسئولين الإسرائيليين – عسكريين ومدنيين – لغة الحديث عن احتمالات انفجار الوضع على الجبهة السورية، وتقديم "سيناريوهات" متعددة لنشوب هذه الحرب، واحتمالات تطورها، وكيف تنتهي، وما نتائجها.

ودون الخوض في الاقتباس ورصد ما ذكرته وسائل الإعلام الإسرائيلية منذ ذلك التاريخ، نوفمبر ١٩٩٦، حتى اليوم، فإنه يمكن القول إنه ما من صحيفة إسرائيلية إلا وتناولت هذا الموضوع، كخبر أو مقال أو تحليل، مرة أو أكثر في الأسبوع الواحد .. طوال هذه الفترة التي تقترب من السنة، وكانت هناك فترات يتردد فيها الحديث ويبرز أكثر فأكثر.

إن خيار الحرب خيار استراتيجي في الفكر العسكري وفي السياسة الإسرائيلية، إن كان قد تراجع نسبياً في بعض مراحل عملية التسوية البائسة، منذ انطلاقتها، بالذات منذ زيارة الرئيس السادات للقدس المحتلة في ١٩٧٧، إلا أنه ظل خياراً قائماً، لم يتم التنازل عنه، ولا التهوين من تأثيره، ولا التشكيك في قيمته، على النقيض من ذلك، بدأ الجانب العربي الانخراط في عملية التسوية بإعلان تخليه عن خيار الحرب والعمل العسكري. ويكفي أن نتذكر هنا ذلك الشعار الخاطئ الذي رفع وردد بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة، حين وصفها الرئيس السادات بأنها آخر الحروب.

وبالرغم من أن الأحداث والتطورات قد أثبتت خطأ هذا الشعار، إلا أن الذين رفعوه، لم يتخلوا عنه، بل انتقلوا خطوة أخرى إلى الأمام محاولين تشويه أية دعوة إلى ضرورة التمسك بخيار الحرب، وعدم إسقاطه، لأن من يفعل ذلك يكون قد استسلم لعدوه وفرط فيما لا يجوز التفريط فيه. أما المرجفون والمشككون فقد حاولوا النيل من الداعين إلى التمسك بهذا الخيار، بل حاولوا تصوير الداعين إليه وكأنهم من "أهل الكهف" الذين لا يدركون طبيعة هذا العصر، ولا يعرفون ما يجرى فيه. ولم يحاول أحد من هؤلاء أن يلتفت إلى الجانب الآخر، ليرى ماذا يجرى فيه من

تحديث وتطوير للأسلحة، ومن تأهب واستعداد لنشوب القتال، في أى وقت. إنهم لا يجهلون ذلك، لكنهم يحاولون عامدين التغاضى عنه، إنهم يسمعون قعقعة السلاح الإسرائيلي لكنهم يبدون وكأن في أسماعهم وقرا. إنهم يضعون ذلك جانباً، ويقولون إن الحديث عن العمل العسكرى وخيار الحرب سيؤذى ويضعف ما يسمونه "معسكر السلام الإسرائيلي". فإذا سألتهم أين يوجد هذا المعسكر؟ ومن يمثله في الحكم وفي اتخاذ القرار؟ لم يستطيعوا أن يتذكروا إلا أسماء أفراد .. وأسماء "تنظيمات" أصبحت من الضعف والتراجع، بحيث لم يعد لها وزن في داخل المجتمع الإسرائيلي.

وأود هنا أن أتنبه وأنبه إلى أن الحديث عن خيار الحرب وعن العمل العسكرى لا يعني رفضاً للسلام، أو عداء حتى للتسوية، بشرط أن يكون سلاماً عادلاً، وأن تكون تسوية مشرفة لا تتضمن تفريطاً في أرض، ولا تنازلاً عن حق. والتسوية ـ بالطبع ـ تعني التفاوض، والأخذ والعطاء، ولكن المفاوضات لها أسسها وقواعدها، وأصولها .. وبئس التسوية وبئس المفاوضة إذا بدأت بالتنازل عن الحقوق.

وهناك، على الجانب الآخر، أى في إسرائيل، أشخاص وكتاب وصحفيون ومفكرون وسياسيون وعسكريون يضعون قضية خيار الحرب في إطارها الصحيح .. على الرغم من تعدد اتجاهاتهم السياسية واختلافها. وعلى سبيل المثال كتب يورى أفنيرى في "معاريف" في ٧ يوليو ١٩٩٧ ما يلي: "التليفزيون يعرض الصورة: عشرات الأمهات الإسرائيليات يرين كيف تنفجر شحنة ناسفة بين قدمي أحد الأبناء، مئات الملايين حول العالم يشاهدون كيف أطلق الرصاص على شاب عربي حتى الموت، بالقرب من مستوطنة مورج، وكيف يقوم المستعربون "قوات الأمن الإسرائيلية التي تتنكر في الزى العربي المدني" بجر فتى عربي مغشى عليه على الأرض في الخليل، وكأنه جوال دقيق. يرون، يهتز وجدانهم. ولكن الحرب الحقيقية لا تدور في شوارع شلالة في الخليل، وأسلحتها ليست زجاجات حارقة ورصاصات مطاطية. إن الحرب الحقيقية تدور في كل أجزاء الضفة الغربية، والقدس وقطاع

عزة، وأسلحتها مصنوعة من الورق، وهى عبارة عن خرائط وقرارات وأوامر حرب مصيرية، معلق بها مصير ملايين البشر: إسرائيليين وفلسطينيين فى الحياة أو الموت".

ويختم أفنيرى هذه الفقرة من مقاله عن "الحرب الحقيقية". بقوله: "إن هذه الحرب بدأت قبل ١١٥ عاماً، عندما وصل أوائل الهجرة الأولى إلى البلاد، وهى تصل اليوم إلى معدلات قياسية جديدة، ففى هذه الحرب، يسعى الطرف اليهودى للسيطرة – قدر الإمكان – على أكبر قدر من الأراضى من أجل الاستيطان والاستقرار، بينما يسعى الجانب الفلسطينى للتمسك بالأراضى بأظافره والعمل على صد الهجوم!!

إن أفنيرى يطرح الجذور الحقيقية لمسألة خيار الحرب فى الصراع العربى ـ الإسرائيلى، وهو فى هذا الطرح يرى أن هذه الحرب لا تزال مستمرة ولا تزال تدور فى كل أنحاء المناطق المحتلة "من مورج وحتى جنين" حسب تعبيره.

ومن أسف، إنه فى ظل تعثر بل توقف عملية التسوية، على الرغم من بؤسها منذ بدايتها، وفى ظل تعنت العدو الإسرائيلى، واستمرار حربه الحقيقية، أى حرب الاستيطان، يدعى فريق منا نحن العرب أنه من المفيد لنا أن ننسى وننبذ حديث الحرب والكفاح المسلح والعمل العسكرى. ولعل مقال ممدوح نوفل "عضو المجلس المركزى الفلسطينى" بعنوان "العمل العسكرى فى الاستراتيجية الفلسطينية" والمنشور فى العدد ٣٠، ربيع ١٩٩٧، من "مجلة الدراسات الفلسطينية" خير تعبير عن هذا الاتجاه.

يقول السيد نوفل، فى هذا المقال الخطير: "إن تجربة خمسة أعوام من المفاوضات الفلسطينية والأردنية ـ الإسرائيلية، بينت بالملموس أن طريق العمل السياسى والدبلوماسى مثمر ومنتج، وبصرف النظر عن رأى المعارضين لعملية السلام، الذين مازالوا يعتقدون أن الكفاح المسلح هو الشكل الرئيسى والأجدى للنضال، فإن نتائج المفاوضات أكدت أن الفلسطينيين يستطيعون – فى الظرف الدولى والإقليمى الراهن – انتزاع الكثير من الحقوق الفلسطينية بالطرق السلمية، بما فيها تحرير قطاعات كبيرة من الشعب من نير الاحتلال وظلمه، وتحرير أجزاء

واسعة من الأرض، والتقدم خطوات كبيرة فى اتجاه بلورة الكيان الفلسطينى وبناء الدولة المستقلة".

على أية حال، إن هذا مجرد رأى قابل للنقاش والتفنيد، أما الجديد حقاً فهو قول الكاتب: "أما مزج الكفاح المسلح بالنضال السياسى والدبلوماسى فالواضح أنه غير ممكن، والتجربة أكدت أنه غير مفيد"!!

إن مقال السيد نوفل خطير من أوله لآخره، وإذا كان من حقه أن يكتبه، فمن الواجب مناقشته بل والتصدى له، وبقوة، لأنه يعبر بوضوح عن اتجاهات خطيرة فى ساحة العمل الفلسطينى العربى، وبالذات فى هذه الظروف، ومنذ مجىء بنيامين نتنياهو والليكود وحلفائهما للسلطة فى إسرائيل، بسياسة وخطط معلنة، لا أعتقد أنها تخفى على السيد نوفل، ولا على من يعبر عنهم، أو ينطق باسمهم، حين "يشطب" الكفاح المسلح ليس حالياً أو مستقبلاً فقط، بل فى الماضى أيضاً، حيث يرى أن "المشاركة الفلسطينية فى عملية السلام حققت للشعب الفلسطينى بعض أهدافه الوطنية، وهذا ما لم يتمكن الكفاح المسلح من تحقيقه".

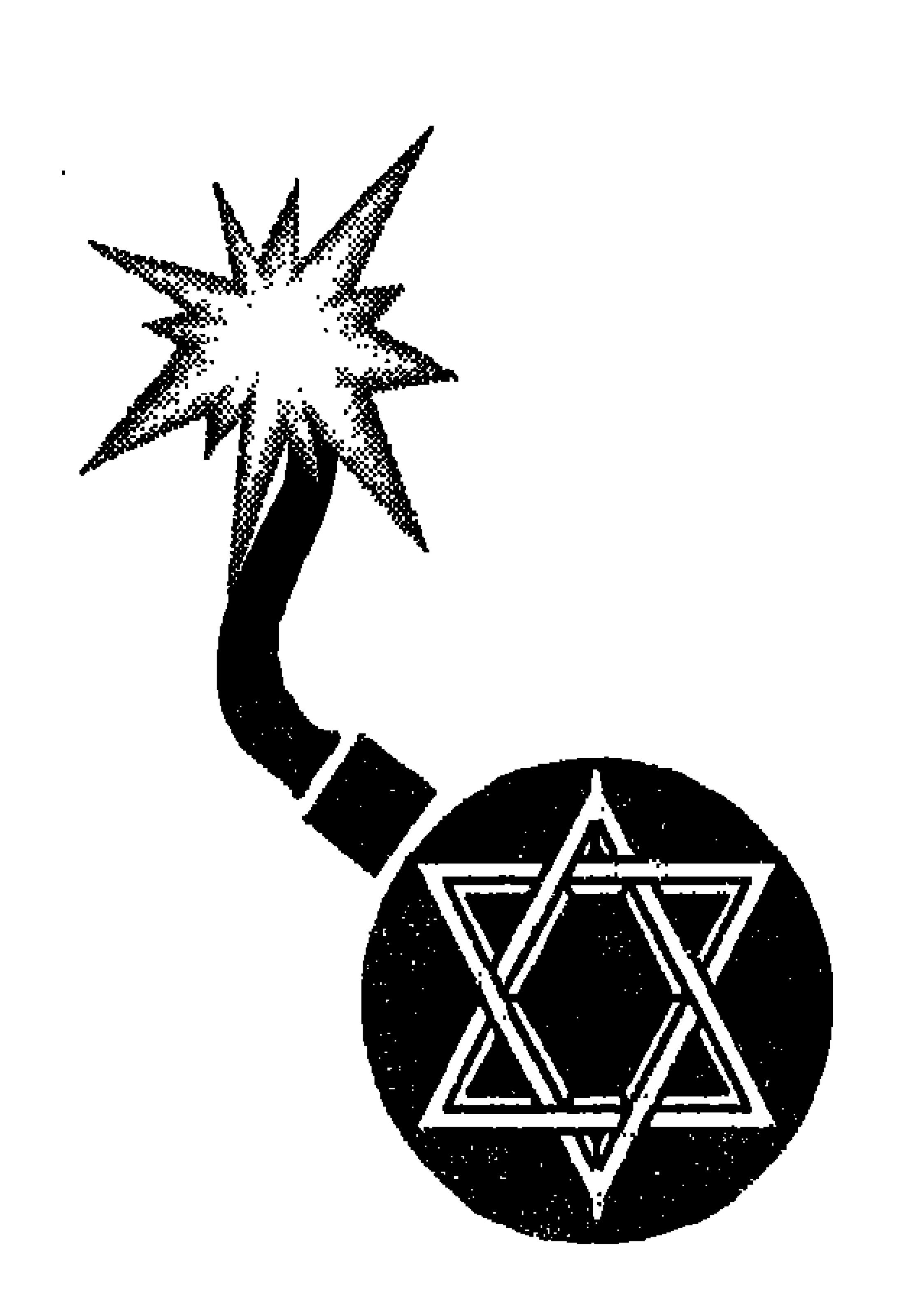
ومن المثير لأقصى درجات الغرابة والريبة فى ظل السياسات والخطط التى يعلنها "الليكود" وقادته .. إن السيد نوفل نفسه كان يخشى من قبل صعود "الليكود" إلى السلطة. ففى كتابه الصادر فى ١٩٩٥، بعنوان "قصة اتفاق أوسلو"، كتب بالحرف الواحد ما يلى: "وعند الحديث عن السلام والتسوية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، لا يمكن تجاهل الإشارة إلى احتمال فوز الليكود فى الانتخابات الإسرائيلية القادمة ونتائج هذا الاحتمال على مسار عملية السلام. وأعتقد أن وقوع مثل هذا الاحتمال يمثل نكسة قوية لعملية البحث عن السلام ويؤجل الوصول إلى تسوية، ويعطل الوصول إلى سلام حقيقى وعادل وشامل، وقد يزج المنطقة كلها فى صراعات جديدة ومدمرة. وإذا كانت هذه النتيجة مرئية سلفاً فواجب قوى السلام الإسرائيلية والفلسطينية والعربية والدولية بذل كل جهد ممكن من الآن كى لا تقع مثل هذه المفاجأة، وكى لا يحدث مثل هذا الانقلاب المضاد".

وإذا كانت نبوءة السيد نوفل فى تحققت، ووقعت المفاجأة وحدث

الانقلاب المضاد، فمن المنطقى – إذا كان لا يزال للمنطق اعتبار فى سياستنا العربية – ألا يكون الرد بتطليق الكفاح المسلح بشكل نهائى، والتحذير من مجرد التفكير فيه كى يكون أداة ضغط تساند المفاوض وتسنده فى سعيه إلى الحد الأدنى من الأهداف التى لم نعد نحلم بتجاوزها .. وهى أهداف لن تتحقق إذا ظننا أن وسيلتنا الرئيسية بل الوحيدة إليها هى المفاوضات .. حتى لو استمرت مائة عام .. إن من يعلن مقدماً أنه لن يتحدث عن خيار الحرب والقتال، يعلن فى الوقت نفسه قبوله بما يريد عدوه فرضه. فهل هذه هى السياسة؟ وهل هذا هو فن التفاوض؟ إن ذلك فهم مغلوط وخاطئ للسياسة والمفاوضة، ولن يقود إلى سلام أو تسوية، والشواهد أمامنا، ماثلة شاخصة، تتحدانا صباح مساء، من مورج إلى جنين، حسب تعبير أفنيرى!! وبالمناسبة، يعتبر أفنيرى من "معسكر" السلام الإسرائيلى، ويكشف فى مقاله وقائع الحرب الحقيقية التى تدار وتدور ضدنا .. ومع ذلك يريدنا البعض أن نرفع أيدينا مستسلمين وقائلين: "سامحنى يا سيدى .. أنا لا صلة لى بالحرب"، وينسى هؤلاء أن من يخلع سيفه لا يمكن أن يصنع سلامه أو يحقق تسوية مشرفة.

الفصل الرابع

ما بعد "مشعل"



"إن ظاهرة نتنياهو لا يجب أن تستمر، لأن الثمن الذى سيكلفه لإسرائيل غال جداً"!!

يوسي بيلين:

قالت صحف "إسرائيل" فى رئيس وزرائها بنيامين نتنياهو ما لم يقله مالك في الخمر. لقد أوسعته هجوماً، بل وشتماً وسباً، ووصفته بانعدام الكفاءة والخبرة. وأنه رجل غير مسئول وغير مقبول!، قد يحلو للبعض أن يقول إن هذه هى "الديمقراطية الإسرائيلية!"، وفى وسط هذا الهجوم الحاد الساخن و ربما غير العادى، أبت صحيفة مثل "يديعوت أحرونوت" إلا أن توقف القضية على قدميها، بدلاً عن وقوفها على رأسها، وفى مقال كتبه "ناحوم برنياع" فى ٧ أكتوبر ١٩٩٧ لابد أن تستدعى الانتباه فقرة تقول: "لا يقيلون فى البلاد رئيس حكومة بسبب المصادقة على خطة تصفية زعيم عربى إرهابى، حتى لو كان القرار غير ضرورى والعملية فشلت".

دون حاجة إلى إعادة القراءة مرة أخرى، لابد أن يستوقف المرء طويلاً وعميقاً "تصفية زعيم عربى إرهابى"، هكذا بشكل مطلق قد يتيح اعتبار كل زعيم عربى مجرد "إرهابى" أى أن دمه مباح، ورأسه مطلوبة، وحياته لابد أن تنتهى بحكمٍ إسرائيليٍ نهائيٍ وباتٍ، فإن نجحت محاولة قتل مثل هذا "العربى الإرهابى" فإن القتلة لهم المجد، والتصفيق الحاد، وأكاليل الغار أى نياشين وأوسمة البطولة والفخار، أما إذا فشلت المحاولة "فيا دار ما دخلك شر" .. ولكن هذا الزعيم العربى الإرهابى - بحكم إسرائيل - لن ينجو، ولن يفر، بل لن يقر له قرار. وليس هذا استخلاصاً ذاتياً بل إنه قراءةٌ تحليليةٌ للكلماتِ، ولما وراء الكلمات، خاصةً إذا ربطنا الفقرة المذكورة بالفقرة التى سبقتها فى مقال "برنياع" وهى قوله: "إن الأسطورة عن قدرة إسرائيل التنفيذية مازالت كبيرة، ولكن القدرة الحقيقية أقل منها بكثير. من الأفضل أن نفكر مرة تلو الأخرى قبل أن نقوم بعمل، ونعرض قدراتنا فى أسوأ حالاتها. هذا هو الخوف الذى جعل اسحق شامير (رئيس الوزراء الأسبق) يمتنع عن القيام بعملية

عسكرية ضد العراق فى فترة حرب الخليج. لقد كان شامير صادقاً، كما هو واضح".

معنى ذلك أن إسرائيل لا تمتنع عن الضرب والقتل والعدوان إلا عن عجز، ولكن إذا أحست بالقوة واستشعرت أنها ستتغلب فلن تتردد فى أن تضرب. وهى تمتنع عن القتل والضرب والعدوان حتى لا تنكشف على حقيقتها، وحتى لا يتبين العرب عجزها وضعفها، وحتى تظل عالقة فى الأذهان الأسطورة، أسطورة يد إسرائيل الطويلة، وأسطورة إسرائيل التى لا تقهر!. ومثل هذا الأسلوب فى العمل والمواجهة والمراوغة لا يجيده نتنياهو بصلفه وغروره ومثل هذا الشخص، الصلف المغرور المتعجرف، شخص هش فى العادة، ينطبق عليه المثل العربى: يثور سريعاً ثم يغور سريعاً. وإلا كيف نفسر إسراع نتنياهو فى الاتصال تليفونيا بالملك حسين يوم الخميس فى الخامس والعشرين من سبتمبر ١٩٩٧، بمجرد أن أنبأه رئيس "الموساد" بأن "عملية عمان" فشلت، وتم إلقاء القبض على اثنين من ضباط المخابرات. ومثل هذا الشخص ينتقل بسرعة من النقيض إلى النقيض، ولنا أن نتصور رد فعل نتنياهو لو أن رئيس "الموساد" أنبأه بأن العملية نجحت، وتم اغتيال خالد مشعل، وأن منفذيها عادوا إلى "البلاد" سالمين، وأنهم الآن فى مكان أمين. ولعل هذا التقلب هو ما عناه يوسى بيلين الذى كتب فى الصحيفة السابقة نفسها - يديعوت أحرونوت - وبعد يومين من العدد المشار إليه، أى فى عدد التاسع من أكتوبر ١٩٩٧ "إن الكثيرين، فى اليمين واليسار الإسرائيليين، يدركون أنه يقف على رأس هرم المسئولية اليوم شخص غير قادر على تحمل المسئولية. وهذا ليس مفاجئا.

فهو عديم التجربة الحقيقية وعديم الخطة الواضحة، ينبغى أن يقوم فى إسرائيل اليوم تحالف سوى لأشخاص يتفقون على أن ظاهرة نتنياهو كرئيس للوزراء لا يجب أن تستمر، لأن الثمن الذى سيكلفه لإسرائيل غال جداً"!!

فهل إمكانية قيام هذا التحالف متاحة حالياً فى إسرائيل، ليكون بديلاً عن "تحالف نتنياهو وشركاه"، أى تحالف اليمين وأقصى اليمين والأحزاب الدينية؟.

الأرجح أن هذا الاحتمال ضعيف، والأغلب أن هذا التحالف سيظل قائماً

في إسرائيل حتى العام ٢٠٠٠. ونتنياهو لن يستقيل، ومن الصعب أن يقال .. ولكن ليس من المستحيل أن يسقط .. ولو سقط، فلن يكون ذلك بسبب الفشل في اغتيال "زعيم إرهابي عربي"، بل لسبب آخر، وهو أن يمثل استمراره خطراً على مصالح "إسرائيل" في المرحلة الحالية!. فهل نتنياهو كذلك، حالياً؟. العكس هو الصحيح، إنه ـ بفكره وسياسته وتحالفه ـ تعبير صادق عما تريده إسرائيل الآن، إنه تعبير حقيقي عن رغبات وميول "الأغلبية" في إسرائيل، حتى لو كان الفارق بين هذه الأغلبية والأقلية ضئيلا، كما ظهر في نتائج انتخابات مايو ١٩٩٦، التي رجحت كفة نتنياهو على شيمون بيريز في انتخاب الأول رئيساً للحكومة. فمن المعروف أن عدد الأصوات الصالحة في المنافسة بين نتنياهو وبيريز هو ٢,٩٧٨,٥٨٩ صوتاً، حصل منها نتنياهو على١,٥٠١,٠٢٣ صوتاً (تعادل ٥٠,٤٪ من مجموع الأصوات) في حين حصل بيريز على ١,٤٧١,٥٦٦ صوتاً (تعادل ٤٩,٥٪). وكان الفارق بينهما ٢٩,٤٥٧ صوتاً ٠,٩٪ من مجموع الأصوات الصالحة ..

ولكن هذا التصويت له جانب آخر، وهو تصويت "اليهود" فقط، حيث حصل نتنياهو على نسبة ٥٥,٥٪ من الأصوات اليهودية، في حين حصل بيريز على ٤٤,٤٪ والفارق بينهما هنا كان نحو ١١,١٪ وليس ٠,٩٪!!

إن هذا الجانب من عملية التصويت في انتخابات ١٩٩٦ لم يقف أمامه المحللون العرب كثيراً، بل كاد كثيرون منهم يتجاهلونه عن عمد ليركزوا الحديث على الفارق الضئيل بين نتنياهو وبيريز، بحيث ساد القول إن الفارق بينهما ٠,٥٪!!. ولسنا في حاجة لآن نستعيد اليوم "برنامج الليكود" الانتخابي، الذي تم على أساسه انتخاب نتنياهو رئيساً لحكومة إسرائيل. ولكن في ظل التطورات الراهنة يجدر أن نتذكر البند التاسع من فصل "السلام والأمن" في هذا البرنامج، يقول هذا البند: "سيكون نهر الأردن الحدود الشرقية لدولة إسرائيل، جنوبي بحيرة طبرية، وسيكون هذا الخط حدودا دائمة بين دولة إسرائيل والمملكة الأردنية. ومن الممكن أن تكون المملكة الأردنية شريكا في التسوية الدائمة بين إسرائيل والفلسطينيين في

مجالات سيتفق عليها في المفاوضات" .

ولا حاجة لأن نستعيد قراءة البرامج الانتخابية للأحزاب التي تحالفت مع "الليكود" ولا تزال تشكل التحالف الحاكم ولكن يستدعي الأمر أن نستعيد فقرات من "الخطوط الأساسية" لبرنامج حكومة نتنياهو. ويبدأ هذا البرنامج بديباجة تنص على ما يلي: "ستعمل الحكومة المقدمة إلى الكنيست من منطلق بحق الشعب اليهودي في أرض إسرائيل حقا أبديا غير قابل للنقض، ومن منطلق وعى أن دولة إسرائيل هي دولة الشعب اليهودي، التي تحافظ على نظام ديمقراطي وتضمن المساواة بين مواطنيها، ويتمثل هدفها في جمع الشتات وصهره.

"إن تكامل الشعب ووحدته والعمل من أجل العدالة الاجتماعية والمحافظة على حرية الإنسان والسعي للسلام الحقيقي مع جميع جيراننا، من خلال المحافظة على الأمن القومي والشخصي ستشكل عماد سياسة الحكومة".

ولا حاجة لمزيد من اقتباس من برنامج حكومة نتنياهو الذي نعيد نشره كاملاً في صفحات تالية، وقد أثبتت حكومة نتنياهو ـ منذ تكوينها أنها مخلصة في تطبيق هذا البرنامج، لدرجة أنها نجحت في تجميد عملية التسوية، إذ رأت فيها مساسا ببند أو أخر من برنامج عملها، ولم يتأثر موقفها في هذا الشأن ببعض الهزات التي تعرضت لها.

وفي هذا كان نتنياهو وحزبه وحكومته "أمناء" أمام الناخبين الذين صوتوا لحسابهم ولصالحهم. وفي الحفاظ على برنامجه، نجح نتنياهو حتى الآن في تخطي جميع الأزمات التي تعرض لها، بالرغم من أن البعض في داخل إسرائيل نفسها يتهمه بـ "الافتقار التام إلى الخبرة والبصيرة السياسية ويقال إنه يعرف كيف يفوز في الانتخابات داخل حزبه وعلى الساحة الوطنية مثل الثعبان، غير أنه فيما يتعلق بغير ذلك من المسائل فهو أحمق. هذا، بينما يرى البعض الآخر أنه ليس أحمق على الإطلاق، وإن جميع مناوراته محسوبة من أجل تحقيق هدفه الحقيقي، وهو القضاء على منطق مفاوضات السلام والاحتفاظ بالسيطرة على الأراضي المحتلة (غزة، والضفة العربية، والقدس الشرقية) في الوقت الذي يتحاشى تحمل تلك المسئولية"، وهذا

كلام سياسى وكاتب إسرائيلى، هو يورى أفنيرى، الذى وضع يده على جوهر موقف نتنياهو. ورصد فى مقابل ذلك ـ تراجع ونكوص ما يسمى "حركة السلام" فى إسرائيل، بحيث تحولت إلى قوة سياسية غير ذات شأن.

ويصل أفنيرى فى تشخيصه للوضع الحالى فى إسرائيل وذلك فى مقال كتبه فى صحيفة "لوموند ديلوماتيك" الفرنسية فى أغسطس ١٩٩٧، إلى القول "إن أحداً (فى إسرائيل) لا يثور لفكرة احتمال إراقة الدماء. وكأن أحداً لا يهمه ضحايا الحرب المقبلة، إذ يفضل حزب العمل الحديث عن أمور أخرى أكثر شعبية. ويبدو أن الحركات السلمية لم تفلح فى تعبئة الجماهير". إذن، لقد خلا الجو لنتنياهو وأمثاله فى إسرائيل، وسيبيض ويفرخ، ليس لمجرد أنه نتنياهو، بل لأنه التعبير الصحيح والنتاج الحقيقى لإسرائيل، فى هذه المرحلة".

وأى تفكير غير ذلك قد يجانبه الصواب .. ونتنياهو هذا مرشح للبقاء – بل هو باق! – فى رئاسة حكومة إسرائيل حتى خريف سنة ٢٠٠٠!!، ويملك بين يديه سلطة شبه دكتاتورية، قد لا يصعب على المرء تصور إلى أين يوجهها، بينما يصعب عليه تصور كيف يبقى الوضع العربى مع نتنياهو على ما هو عليه، حتى الآن.

فهل تكون محاولة اغتيال مشعل حجراً فى بركة آسنة؟ .. والقضية هنا ليست قضية مشعل أو حماس فى حد ذاتهما، إنها بعيداً عن أى خلاف أو اتفاق فكرى أو سياسى معهما أكبر من ذلك، إنها قضية التعامل مع "أخطر رجل فى أخطر دولة فى أخطر مرحلة".

إن محاولة اغتيال خالد مشعل تطرح على العرب تحدياً من نوع جديد فى التعامل و "التصارع" مع إسرائيل والصهاينة .. هو نوع ربما لم نعرفه من قبل. إن هذه المحاولة اعتداء من طراز خاص. يختلف عن كل الاغتيالات التى ارتكبتها إسرائيل من قبل سواء فى بيروت: غسان كنفانى، وكمال عدوان وأبو يوسف النجار وكمال ناصر وأبو حسن سلامة وغيرهم، أو فى تونس: أبو جهاد وأبو إياد وغيرهما أو فى قبرص، أو فى عواصم عديدة. كما تختلف هذه المحاولة العدوانية عن فضيحة "لافون" وعن اغتيال اللورد موين فى القاهرة، لقد ارتكبت الاعتداءات

والاغتيالات السابقة في عواصم عربية كانت في حالة عداء أو حرب مع إسرائيل. بينما جرت محاولة اغتيال خالد مشعل في "عاصمة عربية صديقة لإسرائيل ليس منذ توقيع معاهدة الصلح أو معاهدة وادى عربه، بل منذ زمن طويل .. يرجع إلى ما قبل تسلم الملك حسن مقاليد السلطة في الأردن. وهذه العلاقات ليست خفية ولا طارئة. إنها تعود في جانب منها على الأقل، إلى السنوات الأولى للمشروع الصهيوني في فلسطين، كما كشف عن ذلك سلمان بشير في دراسته "المختفية" عن "جذور الوصاية الأردنية" التي كتبها اعتماداً على وثائق الأرشيف الصهيوني، ثم هناك ما كتبه عبد الله التل عن علاقات الأمير ثم الملك عبد الله مع زعماء الصهاينة. وهناك أكثر من كتاب عن علاقات الملك حسين مع المسئولين الإسرائيليين، من آخرها كتاب "حسين يصنع السلام" الذى صدر مؤخراً في إسرائيل للصحفي المعروف موشى زاك، وقد نشرت "السفير" هذا الكتاب في حلقات في خلال شهرى سبتمبر وأكتوبر ١٩٩٧.

والعلاقة التى قد ترقى إلى حد الصداقة بين الأردن الهاشمى والصهاينة والإسرائيليين ليست موضوعنا، أساساً، ولكنها مدخلنا هنا كي نتساءل: هل نتنياهو من الغفلة بحيث يفرط في مثل هذه العلاقة في سبيل اصطياد خالد مشعل، خاصة وأن مشعل ـ حسب وصف إحدى الصحف الإسرائيلية ـ ليس سمكة كبيرة؟.

لقد كان من الممكن اغتيال مشعل في خارج الأردن، وقيل إن هذه المحاولة جرت فعلاً في تركيا، فلماذا عمان بالذات؟ .. ودون أن نسأل لماذا مشعل بالذات، فإنه يبدو أن اختيار المكان كان قصداً مقصوداً: مبيتاً، وهادفاً، ومخططاً، ليؤكد للعرب ــ الأصدقاء والأعداء، المسالمين والرافضين المعتدلين والمتشددين – أن إسرائيل نتنياهو لا ترى فروقاً بينهم، وأنها – إذا اضطرت لاستخدام أحدهم فلفترة فقط، ثم تنبذه وتلقيه خارج الحلبة، حين تجد ذلك من مصلحتها .. وفى سبيل مصلحتها، لا تعرف عاصمة أو مدينة عربية صديقة إلا بقدر ما تجد في هذه العاصمة أو المدينة مصلحتها.

لقد استهدفت عملية اغتيال مشعل التى فشلت أن توجه رسالة إسرائيلية

واضحة لكل العرب: لا نجاة لكل من يرفع يده ضد إسرائيل، في هذه المرحلة، سنطارده، ونتعقبه ونقتله في كل مكان، وفي أى مكان. وقد كانت الرسالة موجهة بشكل خاص إلى الملك حسين وقصره وحاشيته ورجاله، لتذكير الجميع بأنهم لا يتعاملون مع إسحق رابين أو شيمون بيريز بل مع بنيامين نتنياهو الذى لا يسمح لحسين ولأمثاله بأى هامش مناورة، بل يجب أن يقف مع وبجانب إسرائيل بالكامل، وأى تلاعب في هذا المجال غير مسموح .. وتوازنات العرش الهاشمى و "ألاعيبه" مع هذه القوة السياسية أو تلك يجب أن تكون مقصورة على داخل الضفة الشرقية، ولا تمتد إلى أبعد من ذلك.

باختصار أن محاولة اغتيال مشعل رسالة موجهة تقول لحسين وعرشه وأردنه إننا نحن "الصهاينة" الذين نحدد لك حدود حركتك. إن برنامج الليكود - جيشر - تسومت في انتخابات ١٩٩٦ يشير - كما سبق - إلى ذلك، فيقول: "سيكون نهر الأردن الحدود الشرقية لدولة إسرائيل. جنوبى بحيرة طبرية، وسيكون هذا الخط حدوداً دائمة بين دولة إسرائيل والمملكة الأردنية. ومن الممكن أن تكون المملكة الأردنية شريكا في التسوية الدائمة بين إسرائيل والفلسطينيين في مجالات سيتفق عليها في المفاوضات".

إن صحف إسرائيل تتساءل منذ افتضح أمر فشل عملية عمان: من الذى خطط؟، ومن الذى قرر؟ ومن الذى صدق؟. ولكننا يجب أن نهتم أساساً بسؤال: لماذا؟. لماذا جرت هذه المحاولة، وفي عمان تحديداً؟ .. وحتى حين تطرح صحف إسرائيل هذه التساؤلات فإنها تبدأ بالإقرار بأن نتنياهو هو المسئول، المسئول على المستوى الحكومى حيث تمر ميزانية "الموساد" - أى جهاز المخابرات - من خلاله، وهو الذى يصدق على مثل هذه العمليات ..

إن إغراق الصحف الإسرائيلية ووسائل الإعلام الأخرى في طرح التساؤلات العديدة، والحديث عن لجنة التحقيق وغيرها يهدف إلى التشويش على السؤال الأساسى، سؤال: لماذا؟ ..لقد كان الهدف هو "زرع الرعب" في حماس، وفي الأردن، وفي القيادات الفلسطينية.

ومن المثير للتساؤل تحديداً أن بيريز أريل شارون وزير الحرب الأسبق ووزير البنية التحتية الحالى (يمكن أن نقرأها وزير الاستيطان) كأحد المقربين إلى القصر الملكى الأردنى، مع أن شارون هذا هو صاحب نظرية أن الأردن هو فلسطين، وأن الدولة الفلسطينية يجب أن تقام في الأردن. فما الذى حدث وجعله يقفز من ضفة إلى ضفة؟.

يبدو أن العلاقات الهاشمية ـ الصهيونية معقدة أكثر مما تصور، ولعلنا نستفيد هنا مما ذكرته صحيفة "يديعوت احرونوت" فى ١٠ أكتوبر ١٩٩٧ من أن الأمير الحسن ولى عهد الأردن فى لقائه يوم الأحد ٢٨ سبتمبر ١٩٩٧ فى عمان مع نتنياهو وشارون وإسحق موردخاى، وزير الحرب "اتهم إسرائيل بمحاولة إسقاط النظام الهاشمى"، وقالت إنه "لم يكن يختار كلماته بدقة". ثم تكمل "يديعوت" روايتها على النحو التالى، راوية حديث الحسن إلى الثلاثى الإسرائيلى: "ماذا فعلتهم؟. قبل يومين فقط استضاف الملك مجموعة من الضباط فى قصرنا. لقد كرس لهم ساعات طويلة لقد أكل بصحبتكم وأنتم ترسلون القتلة إلى أراضينا".

"ادعى الحسن أنه وشقيقه الملك واثقان من أن محاولة الاغتيال فى وضح النهار استهدفت إحراجهما، "نحن لا نستطيع أن نفهمكم، أى غباء هذا؟ حين يقوم أربعة من عملاء "الموساد" بالهرب فى وضح النهار إلى السفارة الإسرائيلية فى عمان؟"

وفى ختام هذه الرواية قالت "يديعوت": "الحسن يربط محاولة الاغتيال أيضاً بالأنباء التى نشرت فى إسرائيل عن استعداد الجيش للدخول إلى مدن الضفة، وقال إنه وشقيقه مقتنعان بأن الأمر تم فى إطار خطة كبير لإغراق الأردن بمئات الآلاف من اللاجئين وإسقاط الملك".

هذه رواية الصحيفة الإسرائيلية، ولا يستطيع المرء أن يقطع بمدى صحتها. وحين تغيب المعلومات الدقيقة، لا يملك المحلل إلا أن يطرح التساؤلات مهما كانت محلقة بأجنحة الخيال.

ومن ثم لا مانع من أن نتذكر أن اغتيال ولى عهد النمسا والمجر على يد

مواطن صربى كان الطلقة الأولى فى الحرب العالمية الأولى.

هل محاولة اغتيال مشعل فى عمان قريبة من ذلك إن لم نقل إنها شبيهة بذلك؟

إنى أستشعر الخطر فى جريمة مثقلة بالنذر، توحى لى باحتمالات كثيرة. قبل يومين من كتابة هذه الكلمات، وفى ١٧ أكتوبر ١٩٩٧، نشرت صحيفة "يديعوت احرونوت" مقالاً كتبه رون بن يشاى عنوانه: "الحرب المباغتة واحتمالات نشوبها" جاءت مقدمته على النحو التالى: "لا يمكن القول إن الحرب مؤكدة الوقوع فى الوقت القريب. من المؤكد أنه يمكن تجنبها. والعودة إلى المفاوضات السياسية مع الفلسطينيين ومع السوريين. ولكن يجب أن نعترف أننا إذا واصلنا السير فى المسار الذى نسير فيه فى السنة الأخيرة، فإن الحرب ستنشب إن عاجلاً أم آجلاً.

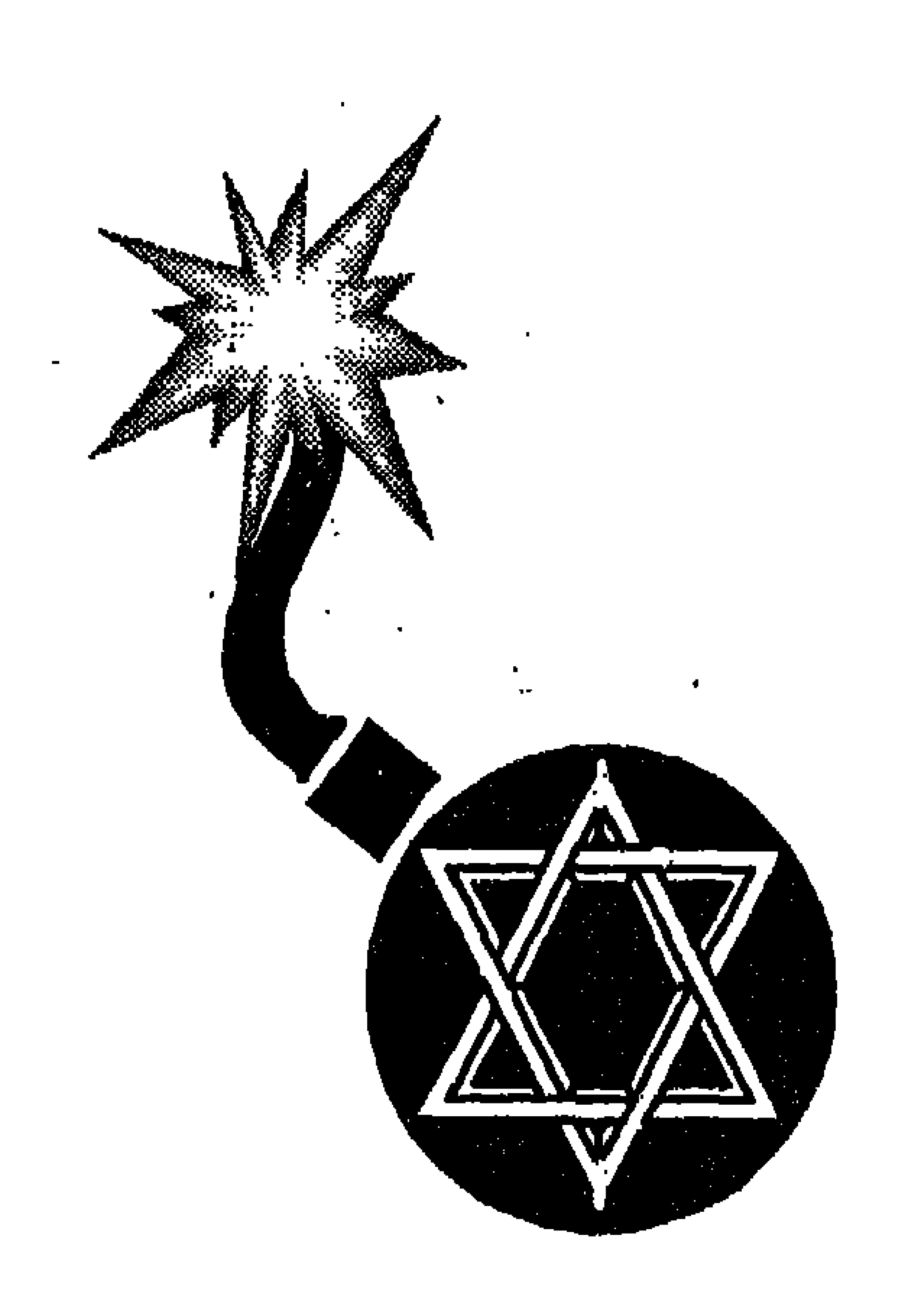
لذلك فإن السؤال يطرح نفسه فى هذا العام (يقصد العام اليهودى الجديد): هل من الممكن أن نفاجأ مثلما فوجئنا فى أكتوبر قبل ٢٤ عاماً؟. هل سيقع هجوم مفاجئ؟. هل ستندلع فى القريب هذه الحرب؟. من الممكن الآن أن نجيب بثقة كاملة: بأن المفاجأة الاستراتيجية مثل حرب أكتوبر لن تقع. ذلك أن شعبة الاستخبارات العسكرية تقدر اليوم وتقول بصورة واضحة وجلية للوزراء وللجمهور إن ثمة احتمالاً للحرب، وهذا الاحتمال فى تزايد مستمر".

ويغلب على الظن أن محاولة اغتيال مشعل تجعل هذا الاحتمال مطروحاً كما لم يكن مطروحاً من قبل، منذ صعود نتنياهو إلى رئاسة الحكومة فى إسرائيل، فجميع أعماله – فضلاً عن أقواله – كانت تمهد الأرض للاشتعال. إن هناك اتفاقاً سائداً فى إسرائيل على أن نتنياهو يشعل الحرائق. فمن يطفئها؟. ثم من ينتظرها حتى تمتد إليه وتحرق أصابعه وتخترق دفاعاته إلى داخل داره.

إن عملية عمان الفاشلة جرس إنذار. هل سمعه العرب؟ أقصد السادة، القادة العرب، وهل استيقظوا ليسمعوا؟ أو ليشاهدوا أن الموت فى هذه المرة كان يجرى بدون رصاص، بدون صوت .. ودون حاجة إلى كاتم صوت، بمادة كيماوية .. صفها الإسرائيليون وصنعوا الدواء المضاد لها، إنه مشهد من صنعه نتنياهو، وهو إن استمر ـ وغالباً سيستمر ـ سيصنع الكثير، طالما بقى الوضع العربى على ما هو عليه.

الفصل الخامس

وثيقتان .... و ٣ أحاديث



"شرق أوسط جديد؟! يالها من فكرة مسلية"

بنيامين نتنياهو

(1)
البرنامج الانتخابى لليكود
وجيشر وتسومت فى انتخابات مايو ١٩٩٦

السلام والأمن:

* إن حق الشعب اليهودى فى أرض إسرائيل حق أزلى غير قابل للطعن فيه، وهو مندمج فى الحق فى السلام والأمن.
* الصهيونية حركة تحرر الشعب اليهودى. وسيوضع تجسيدها فى صدارة سلم أولويات الحكومة الإسرائيلية. ستعزز الهجرة وسيدعم الاستيطان، وسيلغى قرار تجميد الاستيطان.
* السلام سيكون هدفاً مركزياً فى سياسة إسرائيل. ستعمل الحكومة الإسرائيلية على الوصول إلى اتفاقات سلام مع جميع جيراننا.
* الأمن هو الأساس الذى لا يمكن أن يحل من دونه سلام قابل للبقاء فى منطقتنا. ستتشدد إسرائيل فى المحافظة على الأمن كشرطاً رئيسياً فى أية تسوية سلمية:

١ـ ستحترم الحكومة الإسرائيلية الاتفاقات الدولية، وستواصل العملية السياسية لتحقيق سلام عادل وقابل للبقاء فى الشرق الأوسط. وستعترف بالحقائق التى نشأت على الأرض بموجب الاتفاقات المختلفة، وستعمل من أجل تقليص الأخطار الناجمة عن هذه الاتفاقات على مستقبل إسرائيل وأمنها.

٢ـ ستجرى الحكومة الإسرائيلية مفاوضات مع السلطة الفلسطينية للتوصل إلى تسوية سلمية دائمة شرط أن ينفذ الفلسطينيون جميع تعهداتهم بصورة كاملة، ولا سيما أن يلغوا ـ بصورة قاطعة ـ بنود الميثاق الفلسطينى التى تدعو إلى

تدمير إسرائيل، وأن يمنعوا الإرهاب والتحريض ضد إسرائيل.

٣- ستفسح الحكومة الإسرائيلية المجال أمام الفلسطينيين لإدارة حياتهم بصورة حرة، في إطار حكم ذاتي، غير أن شئون الخارجية والأمن والموضوعات التي تتطلب التنسيق ستبقى من مسئولية دولة إسرائيل. وستعارض الحكومة إقامة دولة فلسطينية مستقلة.

٤- ستطور مصادر عمالة للفلسطينيين داخل مجال الحكم الذاتي من أجل تقليص عدد العمال الفلسطينيين في المواقع الاقتصادية الإسرائيلية، وستشجع الحكومة سياسة اقتصادية تهدف إلى تقليص اعتماد الاقتصاد على العمال الأجانب.

٥- سيتمتع الجيش الإسرائيلي وقوى الأمن الإسرائيلية الأخرى، بحسب ما تدعو الحاجة، بحرية عمل كاملة في كل مكان في كفاحها ضد الإرهاب.

٦- ستبقى المناطق الأمنية الحيوية للدفاع عن إسرائيل، والاستيطان اليهودي، تحت حكم إسرائيلي كامل

٧- ستحافظ إسرائيل على مصادر المياه الحيوية بالنسبة إليها في يهودا والسامرة. إن مصالح إسرائيل وحاجاتها في جميع ما يتعلق باستغلال مصادر المياه واستخدامها لن تمس بأي شكل من الأشكال.

٨- القدس الكاملة والموحدة هي عاصمة إسرائيل. وستحظر الأنشطة التي ترمي إلى التآمر على مكانة القدس هذه، وبالتالي ستغلق مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية في المدينة، بما في ذلك بيت الشرق.

٩- سيكون نهر الأردن الحدود الشرقية لدولة إسرائيل، جنوبي بحيرة طبرية، وسيكون هذا الخط حدوداً دائمة بين دولة إسرائيل والمملكة الأردنية. ومن الممكن أن تكون المملكة الأردنية شريكاً في التسوية الدائمة بين إسرائيل والفلسطينيين في مجالات سيتفق عليها في المفاوضات.

١٠- لقد أقر الكنيست العاشر – بناء على اقتراح الحكومة برئاسة الليكود – قانون تطبيق قانون الدولة وقضائها وإدارتها على هضبة الجولان. وبذلك تقررت سيادة إسرائيل الكاملة على هذا الجزء من البلد. [.......]

العالم العربي

ستواصل إسرائيل الجهود الرامية إلى التوصل إلى اعتراف متبادل بينها وبين الدول العربية التى ليست لها علاقات معها، وستبذل قصارى الجهد لإنشاء علاقات كاملة مع دول عربية لا تزال تقيم معها علاقات أولية فقط. وسيولى اهتمام خاص لدول شمال إفريقيا: المغرب، الذى له دور كبير فى جهود إسرائيل الرامية إلى إحلال سلام فى الشرق الأوسط، تونس، وربما أيضاً الجزائر. ومن الممكن ـ أيضاً ـ أن تقيم دول الخليج علاقات مع إسرائيل تستند إلى مصالح مشتركة ذات طابع سياسى وأمنى.

وستواصل إسرائيل مكافحة المقاطعة الاقتصادية العربية، ولا سيما المقاطعة القومية والثقافية لإسرائيل.

مصر ـ كبرى الدولة العربية وأول دولة توقع معاهدة سلام مع إسرائيل. إن علاقات إسرائيل معها يمكن أن تتطور فقط على أساس التبادل والمعاملة بالمثل، وستعمل إسرائيل على تعميق علاقاتها السلمية مع مصر.

الأردن ـ ثانى دولة عربية توقع معاهدة سلام مع إسرائيل. هناك شبكة كاملة من المصالح المشتركة بين إسرائيل والأردن، وستعمل الحكومة على تعميق التعاون بين البلدين. إن إسرائيل معنية بأردن هاشمى قوى[1].

---

(١) نقلا عن مجلة الدراسات الفلسطينية العدد ٢٧ ـ صيف ١٩٩٦.

(٣)

برنامج حكومة نتنياهو
الخطوط الأساسية [مقتطفات]

ستعمل الحكومة المقدمة إلى الكنيست من منطلق الإيمان بحق الشعب اليهودى فى أرض إسرائيل حقاً أبدياً غير قابل للنقض، ومن منطلق وعى أن دولة إسرائيل هى دولة الشعب اليهودى، التى تحافظ على نظام ديمقراطى وتضمن المساواة بين مواطنيها، ويتمثل هدفها المركزى فى جمع الشتات وصهره.

إن تكامل الشعب ووحدته والعمل من أجل العدالة الاجتماعية والمحافظة على حرية الإنسان والسعى للسلام الحقيقى مع جميع جيراننا، من خلال المحافظة على الأمن القومى والشخصى، ستشكل عماد سياسة الحكومة.

ستعمل الحكومة على تحقيق الأهداف الأساسية التالية:

(أ) توسيع دائرة السلام مع جيراننا من خلال المحافظة على الأمن القومى والشخصى.

(ب) تحصين مكانة القدس عاصمة أبدية للشعب اليهودى.

(جـ) تعزيز الهجرة إلى إسرائيل واستيعاب المهاجرين فى جميع مجالات الحياة.

(د) إيجاد الظروف المواتية لتطور اقتصاد حر ومرافق اقتصادية مزدهرة ورفاهية اجتماعية.

(هـ) دعم الاستيطان فى أنحاء البلد وتوسيعه وتطويره.

(و) رعاية قيم دولة إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية، والمحافظة على توازن ملائم بين رغبة الأكثرية وبين حقوق الفرد والأقليات.

(ز) تعميق التعليم وتعزيز الارتباط بتراث إسرائيل وتجسيد الصهيونية.

(أ) السلام والأمن والعلاقات الخارجية:

١ـ ستعمل الحكومة الإسرائيلية على توسيع دائرة السلام مع جميع جيراننا لمصلحة مواطنى إسرائيل وسكان المنطقة، من خلال الحفاظ على المصالح الحيوية للدولة.

٢ـ سترسخ الحكومة علاقات السلام بين إسرائيل ومصر والأردن وتطورها.

٣ـ ستجرى الحكومة الإسرائيلية مفاوضات مع سوريا من دون شروط مسبقة.

٤ـ ستعمل الحكومة على رفع مستوى العلاقات مع الدولة العربية الأخرى، التى يوجد لها علاقات مع إسرائيل: قطر، وعمان، والمغرب، وتونس وموريتانيا، وستسعى لإقامة اعتراف متبادل وتعاون بين إسرائيل ودول عربية لا توجد لإسرائيل علاقات دبلوماسية معها.

٥ـ ستتبع الحكومة جميع الوسائل المتاحة لها لإعادة الأسرى والمفقودين وجميع من عملوا من أجل أمن الدولة إلى منازلهم، وستصر على هذا الموضوع فى أثناء المفاوضات مع جميع الجهات صاحبة العلاقة.

٦ـ ستتفاوض الحكومة مع السلطة الفلسطينية من خلال توجه للتوصل إلى تسوية دائمة، شرط الوفاء بالتعهدات الفلسطينية كاملةً.

٧ـ ستقترح الحكومة الإسرائيلية على الفلسطينيين تسوية يمكنهم فى إطارها إدارة حياتهم بصورة حرة، فى إطار حكم ذاتى. وستعارض الحكومة إقامة دولة فلسطينية مستقلة، أو أية سيادة أجنبية غربى نهر الأردن، وستعارض منح سكان عرب "حق العودة" إلى مناطق أرض إسرائيل الواقعة غربى نهر الأردن.

٨ـ ستصر الحكومة ـ فى أية تسوية سياسية ـ على ضمان بقاء الاستيطان اليهودى، وضمان ترسيخه وأمنه، وسيضمن ارتباطه بدولة إسرائيل, وستواصل الحكومة الإسرائيلية تحمل مسئولية بقاء وأمن المستوطنات والمستوطنين.

٩ـ تعتبر الحكومة هضبة الجولان منطقة حيوية لأمن الدولة وللمحافظة على مصادرها المائية. وستشكل المحافظة على السيادة الإسرائيلية فى الجولان أساسا لأية تسوية مع سوريا.

١٠ـ ستحافظ الحكومة على حقها فى استخدام الجيش الإسرائيلى والأجهزة الأمنية

ضد تهديدات الإرهاب، بحسب ما تدعو الحاجة وفى كل مكان، من أجل ضمان سلامة سكان الدولة وأبناء الشعب اليهودى.

١١- ستعمل الحكومة على إزالة التهديد الأمنى على الحدود الشمالية، وستضمن الازدهار الاقتصادى لجميع سكان الحدود الشمالية.

١٢- ستأخذ سياسة الخصخصة التى ستتبعها الحكومة فى عين الاعتبار أهمية الصناعات الأمنية لأمن الدولة.

١٣- ستنمى الحكومة العلاقات الخارجية لدولة إسرائيل من أجل دعم السياسة الأمنية والسلمية، ومن أجل دفع هدف الازدهار الاقتصادى والثقافى إلى الأمام.

١٤- ستنمى الحكومة علاقات التقارب الودية والخاصة مع الولايات المتحدة، على قاعدة التزام البلدين قيم الحرية والعدالة والديمقراطية، وعلى قاعدة المصالح المشتركة لكليهما.

١٥- ستعمل الحكومة الإسرائيلية على توثيق العلاقات مع روسيا ومع سائر بلاد رابطة الدول (المستقلة)، آخذةً فى الاعتبار مكانة روسيا فى الساحة الدولية والمصالح المشتركة بين إسرائيل وهذه الدول.

١٦- ستواصل الحكومة الإسرائيلية الجهود الرامية إلى ضم إسرائيل إلى جماعة الدول المنتمية إلى المجموعة الأوروبية، وستعمل على تعميق العلاقات مع البلاد الأوروبية.

١٧- ستواصل الحكومة الإسرائيلية تعميق شبكة الروابط والعلاقات مع دول آسيا، فى جميع المجالات الممكنة وستنمى بصورة خاصة العلاقات الاقتصادية مع السوق التى تشهد نمواً سريعاً فى هذه المنطقة.

١٨- ستسعى الحكومة لتنمية علاقات ودية وروابط متبادلة بين إسرائيل وجميع الدول التى تنشد السلام، ولتعزيز النشاط الإسرائيلى فى المنظمات الدولية.

١٩- ستبادر الحكومة إلى القيام بنشاط دولى ضد المنظمات الإرهابية والدول التى تمنح هذه المنظمات مساعدة ورعاية، وستشارك فى هذا النشاط.

٢٠- ستكافح الحكومة الإسرائيلية بتصميم ودأب مظاهر اللاسامية فى أنحاء

المعمورة، وستعمل على تنمية الارتباط والمسئولية المتبادلة بين دولة إسرائيل والطوائف الإسرائيلية فى الشتات.

(ب) القدس:

١ـ القدس الكاملة عاصمة لإسرائيل هى مدينة واحدة وكاملة وموحدة ستبقى تحت السيادة الإسرائيلية إلى الأبد.

٢ـ ستضمن حرية العبادة وحرية الوصول إلى الأماكن المقدسة لأبناء جميع الديانات.

٣ـ ستحبط الحكومة كل محاولة للمساس بتكامل القدس، وستمنع كل نشاط لا ينسجم مع سيادة إسرائيل الحصرية على المدينة.

٤ـ سترصد الحكومة الإسرائيلية ـ بواسطة مختلف الوزارات وبلدية القدس ـ موارد خاصة لتسريع البناء فى القدس وضواحيها، ولتحسين الخدمات البلدية للسكان اليهود والعرب وغيرهم، ولتحصين المكانة الاقتصادية والاجتماعية للقدس الكبرى.

(جـ) الدين والدولة:

١ـ ستعمل الحكومة على التأليف بين قلوب المتدينين والعلمانيين، بطريق التفاهم وبالحسنى وبالاحترام المتبادل وبمحبة إسرائيل. وستحرص الحكومة ـ بجميع عناصرها ـ على المحافظة على الوضع القائم فى الشئون الدينية. وفى أية حال يتبين فيها أن الوضع القائم فى هذه المجالات تعرض للمساس، ستنظر الحكومة فى الخطوات اللازمة لإعادته إلى ما كان عليه، بما فى ذلك المبادرة إلى سن قوانين.

٢ـ سيعدل قانون تحويل الديانة بحيث لا يعترف بالتهويد فى البلد إلا بمصادقة من الحاخامية الرئيسية فى إسرائيل.

٣ـ ستبادر الحكومة إلى إجراء أنشطة بحثية بشأن تاريخ أرض إسرائيل وشعب إسرائيل، بما فى ذلك القيام بحفريات أثرية، مع المحافظة على احترام الميت.

٤ـ ستعمل الحكومة على ترتيب إمكانات الصلاة لليهود، بحسب أحكام الهالاخاه (الشريعة اليهودية)، فى جميع الأماكن المقدسة بالنسبة إليهم.

(د) الاستيطان:

١- إن للاستيطان في النقب والجليل وهضبة الجولان وغور الأردن ويهودا والسامرة وغزة أهمية قومية، كونه يشكل جزءاً من النظام الدفاعي لدولة إسرائيل، وتعبيراً عن تجسيد الصهيونية. وستغير الحكومة سياسة الاستيطان، وستعمل على ترسيخ مشروع الاستيطان وتنميته في هذه المناطق، وسترصد الموارد اللازمة لذلك.

٢- ستحافظ الحكومة الإسرائيلية على تأمين إمدادات المياه الحيوية بالنسبة إليها من المصادر المائية في الجولان ويهودا والسامرة(١).

[......]

(١) المصدر السابق نفسه صفحات ٦٤ - ٦٧ .

.. و ٣ أحاديث

شرق أوسط جديد

[......]

* اقتحمت الساحة الدولية سنة ١٩٨٣ بمقال شامل نشرته فى *(Wall Street Journal)* ، وقلت فيه إن المشكلة الفلسطينية ليست هى لب الصراع الشرق أوسطى. هل هذه هى وجهة نظرك اليوم أيضاً؟

- فى رأيى، إن المحرك الأساسى للصراع هو الصدام بيننا وبين العالم العربى، الذى اعتبرنا – وإلى حد ما لم يزل يعتبرنا – عنصراً أجنبياً ليس له الحق فى الوجود فى هذا المكان. المشكلة الفلسطينية هى نتيجة هذا الصدام لا السبب الأساسى لنشوئه. مع الافتراضات الرائجة جداً فى البلد أننا إذا حللنا المشكلة الفلسطينية فسنحل الصراع الإسرائيلى ـ العربى. أنا لا أوافق على هذا الافتراض. ليته كان صحيحاً.

حتى لو توصلنا إلى تسوية ثابتة مع الفلسطينيين – وهذا ما أمل فيه وأومن به ـ فلن نحل الصراع الإسرائيلى – العربى فى مجمله. هذا الصراع سينتهى فقط عندما يقتنع العالم العربى بأسره، وكذلك إيران غير العربية، بأن إسرائيل حقيقة قائمة أو – كبديل – عندما تحدث فى الدولة المحيطة بنا إصلاحات ديمقراطية.

* تميز فى كتابك بين السلام الكنتى (نسبة إلى عمانوئيل كنت)، الذى هو سلام منسجم يمكن أن يسود بين ديمقراطيات فحسب، وبين سلام الردع، سلام القوة، الذى يمكن المحافظة عليه أيضاً فى الشرق الأوسط

بحالته الراهنة. هل ما تقترحه علينا هو أن نحد من توقعاتنا: أن نكون متواضعين أكثر كثيراً فى تصورنا للسلام؟

- إن إحدى مشكلاتنا هى أننا نغذى توقعات غير حقيقية. من الضرورى أن يكون لدينا دائماً تطلع وأمل، فمن دون ذلك من المحال التقدم، من المحال العيش، وبهذا المعنى، فإن حياة الشعب تشبه حياة الفرد .. لكن من ينفصل عن الواقع، من يحلق فى الأوهام ويفقد الصلة بالواقع، فمآله السقوط والتحطم على صخور واقع الشرق الأوسط.

إننا – فيما يتعلق بهذا الأمر – نميل بين فينة وأخرى إلى تنمية توقعات عالية وردية للغاية، تتلوها لحظات من اليأس. وإننى – فى المقابل – أقترح أن ننظر إلى بيئتنا بصورة أكثر اتزاناً وروية، وأن نفهم أن العداء الأساسى تجاه إسرائيل لا يزال واسعاً للغاية. لذلك، فإن قدرتنا على التوصل إلى سلام مع جيراننا قائمة فى الدرجة الأولى بفضل قوتنا الرادعة، وبسبب تقدير أوساط عريضة فى العالم العربى أن إسرائيل تملك قوة كبيرة. وفى اللحظة التى يتحطم فيها هذا التقدير، فإن التقدم السياسى كله الذى حققناه حتى اليوم سيتحطم أيضاً.

*** هل ترفض فوراً فكرة الشرق الأوسط الجديد؟**

- هذه سمة نموذجية لأناس يعيشون فى حصار طويل، ويريدون تغيير ما يجرى وراء الأسوار عن طريق تخيل واقع مختلف. أنا لا أتبنى سيكولوجية المحاصرين هذه. إننى أتطلع بصورة موضوعية إلى ما يجرى هناك فى الخارج، وأعلم بأن استعداد العرب فى المستقبل المنظور - للقبول بدولة إسرائيل والعيش معها بسلام فى ظل هذه التسوية السياسية أو تلك، لا يزال مرهوناً بقدرتنا على أن نوضح لهم أننا لسنا حدثاً عابراً.

هناك حديث كثير عن التطبيع. والتطبيع والتغيرات السيكولوجية والعلاقات الاقتصادية هى فعلاً أمور شديدة الأهمية، وعلينا تنميتها. لكن يجب أن نفحص ما يجرى، مثلاً، للتطبيع بيننا وبين مصر بعد عشرين عاماً، يجب أن نفحص مدى عمق التصور هناك بأن السلام مع إسرائيل هو وضع غير قابل للعكس. يجب

أن نفحص إلى أى مدى استوعبت النخبة المصرية - فعلاً - قول السادات "لا حرب بعد اليوم، لا سفك دماء بعد اليوم".

الجواب - مع الأسف - هو أن هذا القول لم يستوعب هناك بما يكفى. إننى أتذكر يتسحاق رابى - رحمه الله - يتحدث معى بحدة شديدة للغاية، وحتى بمرارة، عن موقف مصر منا، عن أن فى مصر أمواجاً ترتفع وتهبط، ولا يوجد ثبات فى موقف النخب القائدة تجاه إسرائيل. ويضاف إلى ذلك حقيقة أن ظاهرة ناصرية جديدة تتفشى اليوم بين شرائح مصرية مهمة.

ما الذى يحافظ – والحالة هذه – على السلام فى مصر؟ تحافظ عليه ثلاثة أمور، الأول: استيعاب معين للسلام مع إسرائيل لدى قسم من القيادة المصرية، والثانى: مقدار جزئى – جزئى جداً – من التطبيع، والثالث: الردع والترتيبات الأمنية الفعالة. ومن بين هذه الأمور الثلاثة، يشكل الردع والترتيبات الأمنية الشرط الحتمى، الذى من دونه لا يمكن أن يكون هناك تطبيع، ومن دونه لا يمكن أن يكون هناك استيعاب. مع ذلك، من المهم أن أؤكد أن هناك أيضاً تطورات إيجابية كثيرة فى علاقاتنا بمصر، ويجب أن نشجعها بكل وسيلة. إننى أيضاً أعتبر الرئيس مبارك شريكاً فى دفع هذه التطورات إلى الأمام. لكن يجب أن يكون واضحاً لدينا أن ثمة شكاً كبيراً فى أن تتمكن إسرائيل ضعيفة من المحافظة على علاقات سلام بمصر.

حتى إشعار آخر

★ هل يجب إذن الاستمرار فى سياسة "السور الحديدى"؟

- حتى إشعار آخر .. نحن نعيش فى الشرق الأوسط فى عصر "الأسوار الحديدية". ما تفعله الأسوار الحديدية هو أنها تشترى لنا الوقت، والأمل هو أن تحدث فى العالم العربى – بمرور هذا الوقت – تغييرات داخلية إيجابية تمكننا من خفض الأسوار الواقية، وربما حتى الاستغناء عنها فى يوم من الأيام. إن هذه العملية جارية فعلاً بالتدريج، لكن كى تكتمل، علينا أن نجعل العالم العربى يفهم – بصورة

لا رجعة فيها – أن الفكرة القائلة إننا سنختفى من هنا هى فكرة باطلة، وأنه خلافاً لم يفكر فيه قسم من النخب في الدول العربية، فإن إسرائيل ليست نوعاً من كيان صليبى جديد آخذاً في التقلص، ومآله إلى التلاشي في وقت ما.

في هذا السياق، على أن أقول إن إحدى المشكلات التى اكتشفتها عندما توليت هذا المنصب، هى أنه حدث في الأعوام الأخيرة تآكل مطرد في قوتنا الرادعة. لقد ارتكبت الحكومة السابقة خطأ مفاهيمياً فادحاً: قدرت أن السلام بمفرده سيوفر الأمن، ولذا سمحت لنفسها بعدم تنمية قوتنا، وكان لابد من أن ينتج من ذلك أيضاً تراجع واضح في حافز الخدمة في الجيش الإسرائيلى وتآكل في منعتنا الوطنية, نشأ نتيجة ذلك مسار خطر للغاية اتسم بالإقدام على مجازفات سياسية وعسكرية في الوقت نفسه، وبتآكل أمنى مترافق مع تقلص جغرافي. إننى أعتزم تغيير هذا الاتجاه. وقد بدأت ذلك. إننى أعتقد أنه إذا نظر إلى إسرائيل على أنها ضعيفة في المفاوضات الشديدة الصعوبة بشأن الوضع الدائم، فستكون هناك ذريعة لمهاجمتها. يجب أن نفهم أن معاهدات السلام تدعم الأمن حقاً، لكنها لا يمكن أن تشكل بديلاً منه. بل العكس هو الصحيح. إن القوة العسكرية شرط السلام. وإبراز قوة الردع بوضوح شديد هو وحده الكفيل بالمحافظة على السلام وتوطيده. [......]

*** ما هو تقويمك للوضع الاستراتيجى؟ ما هى الوجهة الحقيقية للواقع المحيط بنا؟**

– يدور في الشرق الأوسط اليوم تنافس بين مسارين لا يكاد يوجد لإسرائيل تأثير فيهما: مسار التطرف ومسار الاعتدال. وللأسف، إن المتطرفين أقوى في هذه المرحلة من المعتدلين، وفي لحظة ما، يمكنهم تحويل المعتدلين أيضاً إلى متطرفين. نظراً إلى ذلك، فإننى أجد فكرة الشرق الأوسط الجديد مسلية بنوع خاص، ذلك بأننا منذ سنة ١٩٧٩ نعيش فعلاً في شرق أوسط جديد. إننا نواجه ظاهرة إسلامية عامة لم يكن لها مثيل خلال ألف عام.

من جهة أخرى، هناك حقاً ظاهرة مضادة تتسم بالاعتدال وموالاة الغرب

في دول مختلفة، حتى في سوريا. وهذه الظاهرة هي رد العرب على الوضع الذى نشأ بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، إذ يوجد قطب واحد فقط مهيمن في النظام الدولي، وهو القطب الأمريكي. لكن هذا الوضع مؤقت بالتأكيد. فالقطب الأمريكي لن يبقى مهيمناً فترة طويلة. وابتداء من مطلع القرن الحادى والعشرين، سينشأ نظام عالمي يكون فيه خمسة أقطاب على الأقل: الولايات المتحدة وأوروبا والصين واليابان والهند، وسيحاول كل واحد منها العمل في منطقتنا. وتلوح بوادر هذه الظاهرة منذ الآن. لهذا، سنضطر خلال فترة قصيرة جداً إلى التعلم كيف نناور في عالم جديد، متعدد الأقطاب.

دلالة هذه الأمور هي أن إسرائيل ـ خلافاً لما وعدنا به في الأعوام الأخيرة ـ لم تصل إلى شاطئ الأمان. الصراعات في الشرق الأوسط لن تتوقف، والتاريخ طبعاً لن يبلغ نهايته. حتى لو وصلنا إلى سلام تعاقدى مع جميع جيراننا – وأنا بالتأكيد أؤمن بأن هذا ممكن، وبأنه في متناول اليد، ربما حتى في فترة ولاية الحكومة الحالية – فإن هذا السلام التعاقدى لن يضمن زوال مشكلة الأمن من جدول الأعمال، ولن يعنى أن الناس سيعيشون في طمأنينة وسلام. ينبغى أن نفهم أنه في العالم المركب الذى نلجه، وفي المنطقة المعقدة التي نعيش فيها – منطقة لم يمر بها الإصلاح الديمقراطي بعد، منطقة توجد فيها حركة إسلامية قوية للغاية – فإن الأطر التي تبدو في ظاهر الأمر مستقرة، وأيضاً التسويات السلمية، ستكون دائماً هشة. علينا أن نفهم أن الشرق الأوسط منطقة رمال متحركة. علينا أن نفهم – من جملة أمور أخرى – أنه إذا تسلحت إيران، أو عندما تتسلح، بسلاح نووى، فإن جميع معادلات القوة في المنطقة ستتغير، وجميع الاتفاقات السلمية التي وقعناها والتي سنوقعها، ستتعرض عندئذ لضغط شديد للغاية.

إن رد اليسار على هذا التهديد هو تقديم تنازلات قصوى بسرعة قصوى لتقف الاتفاقات سداً أمام الطوفان المقبل في رأيي، إن هذه المقاربة غير واقعية، إذ أنها تحاول أن تفرض أمانينا على واقع صعب. أعتقد أن علينا ألا نوهم أنفسنا بأن حلولاً جزئية ومتسرعة في بيئتنا القريبة ستحل مشكلاتنا المتعلقة بالوجود، والتي

يجب أن نتصدى لها.

[......]

★ بين العالم الأيديولوجي الذى أتيت منه وبين الواقع السياسى الذى ورثته، يوجد تناقض واضح. هل يدل قرارك بتنفيذ الانسحاب من الخليل وإقامة حوار متواصل مع عرفات والاستمرار فى خط أسلو على أن الواقع انتصر، وعلى أنك ماض فى الانفصال عن تراثك الأيديولوجى؟

- كلا. هذا غير صحيح. إذا فحصت جيداً ما فعلته منذ أن توليت هذا المنصب، فسترى أننى أنفذ بالضبط ما وعدت الناخب به. قلت قبل الانتخابات إنه على الرغم من كل انتقاداتى لاتفاق أوسلو، فلن أمتنع عن تطبيقه – مع مراعاة سياستنا وخطوطنا الأساسية – وهذا بالضبط ما أفعله.

يجب أن نفهم أمراً واحداً، إن أوسلو إطار لم يصمم جيداً، ولا سيما فى بعده الأمنى. إن اتفاق أوسلو اتفاق ينطوى على كثير من الإهمال والغموض، وهو حافل بالثغرات، وقد جرت بلورته من دون عمل منظم ومن دون إشراك العناصر الأمنية والاستخبارتية فى إعداده. وعلى الرغم من أنه لا يملى طبيعة الحل الدائم، فإنه يرمز إلى اتجاه غير محبذ للغاية. فى الواقع، كان هناك وراء أوسلو افتراض واضح خلاصته أن الطرفين يريدان إقامة دولة فلسطينية، وبالتالى أراد الطرفان إيجاد إطار لا يخيف الجمهور الإسرائيلى أكثر مما يجب، وإنما يجعله "يبلع" الفكرة بالتدريج من أجل إعداده لهذه النتيجة.

وكانت محصلة ذلك أنه لم يكن هناك خلال تطبيق مراحل أوسلو إصرار على التبادلية، لأن الجانب الإسرائيلى - فى أغلبه - أراد أن يعطى فى أية حال. ونشأ هنا نمط فحواه أن الجانب الإسرائيلى يعطى والجانب الفلسطينى يأخذ. وهذا نمط خطر للغاية إذا كان فى نيتك أن توقف مسار التنازلات فى نقطة مستقبلية ما. كل من يدرك ما هى حياة الدولة عليه أن يفهم أنه إذا استمر المسار القائم على أننا يجب أن نستجيب لكل ما يطلبه الطرف الآخر. فإن هذا المسار سيؤدى فى نهاية الأمر إلى إلغاء دولة إسرائيل.

★ تتحدث فى كتابك عن ظهور قومية فلسطينية منفصلة وكأنها مناورة من جانب القومية العربية، وكثيراً ما تضع مصطلح الشعب الفلسطينى بين قوسين مزدوجين. هل تعترف اليوم بوجود الشعب الفلسطينى وبحقه فى الوجود؟ هل تعترف بأن لديه حقوقاً شرعية غربى نهر الأردن؟

- لقد بدأت القومية الفلسطينية فعلاً كأداة للقومية العربية، وكانت فى الأساس أداة فى يد (جمال) عبد الناصر. لكنها اكتسبت بعد تكونها حياة خاصة به. وأعتقد بالتأكيد أنه يجب الاعتراف بأن هذا التطلع المنفصل موجود. وما أحاول فعله ليس رفض وجود هذه الظاهرة، بل العكس: تعريفها بدقة.

ما أقوله هو أن القومية الفلسطينية لا ينحصر مجالها فى يهودا والسامرة وغزة، فهى - من جهة - تمتد إلى الأماكن التى فيها الجوالى الفلسطينية فى الأردن ولبنان وأماكن أخرى، وهى من جهة أخرى تتغلغل بسرعة شديدة بين عرب إسرائيل. ومن يحاول الادعاء أن ثمة هوية ما منفصلة فى يهودا والسامرة وغزة - لا تخرج عن ذلك الإطار - فإنه ببساطة على خطأ. لذلك، فالمشكلة هنا صعبة للغاية.

إننا نواجه قومية فلسطينية، هى فرع من شجرة القومية العربية الكبيرة الشاملة، تنطوى عن نزعة تحرير قومية *(Irredentism)* عميقة جداً تطمح إلى تطبيق الميثاق الفلسطينى - الذى لم يلغ بعد - على باقى منطقة دولة إسرائيل، على "فلسطين" بأكملها. إن أتباع "ميرتس" يفترضون أننا إذا أعطينا هذه الحركة ما تطلبه فى المرحلة الأولى - دولة فى مناطق يهودا والسامرة وغزة ونصف القدس — فإن المجال الجغرافى لتطلعاتها القومية سيتحدد، وسيتوقف عند حدود الخط الأخضر. إننى أعتقد أن هذا الافتراض - ببساطة - غير واقعى. يجب على كل عاقل أن يفهم أننا إذا وافقنا - بصورة تلقائية وبلا قيود ومن دون تفكير متعمق - على ما أسميه المبدأ الفلسطينى، المبدأ القائل إن الأقلية القومية الفلسطينية فى يهودا والسامرة لها الحق فى تقرير المصير، فإن هذا المبدأ سينتقل بالضرورة إلى الأقلية القومية داخل دولة إسرائيل نفسها. هذا الأمر لن تكون له نهاية. هذا المبدأ سيقتطع منا المزيد فالمزيد.

سيقتطع من القدس ومن عكا ومن حيفا. وسيقتطع منا أيضاً فى تل أبيب - يافا.

*** هل معنى ذلك أنك تنظر إلى الفلسطينيين على أنهم أقلية قومية فحسب؟ هل حجتك أنه ليس لهم حق فى تقرير المصير، لكونهم أقلية قومية؟**

- هذا لب الموضوع. هذه المسألة معقدة جداً. بمعنى ما، كان القرن الحالى صراعاً بين الفكرة فوق القومية التى مثلها لينين، وبين الفكرة القومية التى مثلها ويلسون. وويلسون هو الذى انتصر.

لكن ما نراه على عتبة نهاية القرن هو النزوع إلى التطرف وتشويه فكرة ويلسون القائلة بتقرير المصير. الافتراض الشائع الآن هو أن كل أقلية قومية تطلب الاستقلال يجب أن تحصل عليه لمجرد أنها تطلبه .. لكن هذه الصيغة تشكل وصفة مجربة لتحطيم النظام الدولى وتفتيت عشرات الدول. إذا قبلت، فإنها ستسبب عدم استقرار مطلق فى شرق أوروبا ووسطها، وبالتالى فى غربها، وربما أيضاً فى أجزاء من أمريكا الشمالية.

أما عندنا، فالمشكلة أكثر حدة. إن الانسجام الهش للغاية القائم بيننا وبين عرب إسرائيل، والذى يمكنهم من الاندماج فى إسرائيل كموطنين متساوين فى الحقوق بكل معنى الكلمة، يثبت فى إدراكهم أن الدولة قوية بما فيه الكفاية، وليست هناك أية فرصة لأن تسلخ من ذاتها المناطق التى يعيش عرب إسرائيل فيها. لذلك، أعتقد أنه يتعين حتى على الإسرائيليين الذين لا يشعرون بذلك الارتباط العميق بقلب أرض - إسرائيل، الذى أشعر به أنا، أن يفهموا أنه إلى جانب الخطر الأمنى الناجم عن التخلى عن مناطق يهودا والسامرة لدولة أجنبية ذات سيادة أجنبية، هناك خطر لا يقل عن ذلك فداحة ناجم عن الإقرار بفكرة تقرير المصير لكل جمهور يطلب تقرير المصير.

شرط ألا تكون دولة!

★ معنـى ذلـك ـ بحسب رأيك ـ أن دولـة فلسطينية تتمتـع بسـيادة مطلقة فى معظم مناطق يهودا والسامرة وغزة، ستتشـكل خطـراً يهـدد وجـود دولة إسرائيل بكل معنى الكلمة؟

ـ إننى أرى أخطاراً ملموسة بالنسبة إلى دولة إسرائيل، مـن شـأنها أن تنمـو نتيجة قيام مثل هذه الدولة. وأعتقـد أيضـاً أن الجـدل الدائر فـى صفـوف الجمهـور الإسرائيلى اليوم، بـين الذيـن يزعمـون أنهـم يؤيـدون دولـة فلسـطينية وبـين الذيـن يعارضونها، هو جدل مصطنع: جدل لا يمس جذور التوافق القومـى العريـض الـذى يجمع بين المعسكرين. عندما أسأل أناساً يزعمون أنهم يؤيدون إقامة مثل هذه الدولة عن رأيهم، دولة فلسطينية، أجـل، لكـن شـرط ألا تكـون لديهـا دبابـات وطـائرات وصواريخ، دولة فلسطينية، أجل، لكن شرط ألا تكون لها سيطرة على مجالها الجـوى، دولة فلسطينية، أجل، لكن شرط ألا تكون لها قدرة على إبرام أحلاف عسكرية مـع العراق وإيران، دولة فلسطينية، أجل لكن شرط ألا يكون فى استطاعتها إدخال آلـة حفر فى الأرض وضـخ مياهنـا، دولـة فلسـطينية، أجـل، لكـن شـرط ألا يكـون فـى استطاعتها جلب مليونين ـ ثلاثة ملايين لاجئ وتوطينهـم علـى حـدود "وادى عـارة" أو فى ضواحى تل أبيب أو حول القدس. لكن مثل هـذه القيـود علـى السـيادة غـير موجودة فى أى مكان فى العـالم. لا توجـد أيـة دولـة فـى العـالم مجـردة مـن السـلاح بصورة مطلقة. لا توجد أية دولة ليس لها الحق فى الدفـاع عـن النفـس، والحـق فـى التسلح، والحق فى السيطرة على حدودها، والحق فى إبرام أحلاف عسكرية.

ولذا، فعندما تطلب الأكثرية السـاحقة مـن الإسـرائيليين فـرض جميـع هـذه القيود على السلطة الفلسطينية، فإنها فى الواقع تعارض فكرة السـيادة الفلسـطينية. إنها تطرح مطالب لا تنسجم مع فكرة السيادة كما هى مفهومة اليوم فى العالم. مـن هذه الناحية، فإن الفارق بينى وبين أولئك الذيـن يتحدثـون عـن الدولـة الفلسـطينية ببساطة لا تحتمل وخفة غير مسئولة، ويدعون إلى إعطاء الفلسطينيين دولة ونتخلص

من المشكلة، هو أننى أكثر وعياً منهم لدلالات مصطلح الدولة. إننى أعى أن زخم السيادة يتغلب دائماً على جميع الترتيبات التى يحاولون بواسطتها تكبيلها أو تقييدها. إننى أعى حقيقة أنه على امتداد القرن العشرين، فى كل مكان حدث فيه تنافس بين سيادة سياسية وترتيبات نزع سلاح، انتصرت السيادة السياسية وبثمن فادح جداً من الدماء. ويصح ذلك أيضاً بالنسبة للشعب اليهودى.

ولهذا، أعتقد أنه سيتبين فى نهاية الأمر، فيما يتعلق بهذه المسألة، أن الخلافات فى الرأى بيننا أصغر مما يحسبون. إننى مقتنع بأنه سيكون فى الإمكان التوصل إلى توافق وطنى واسع على تسوية تتيح للفلسطينيين درجة لا بأس بها من الاستقلال، بينما تبقى الصلاحيات العليا ـ ولا سيما فى المجال الأمنى ـ فى يدنا. على هذا الأساس، من الممكن التوصل إلى تسوية مستقرة، وفى الفترة المقبلة من ولاية الحكومة.

*** فيما يتعلق بهضبة الجولان، التى تشكل الحرب البديل بالنسبة إليها، ألست على استعداد للنظر فى الانسحاب إلى الحدود الدولية؟**

ـ أولاً، وقبل كل شئ، لست على استعداد لإدارة مفاوضات تحت التهديد. لكن عندما ندخل هذه المفاوضات سندخلها بمطالبة مماثلة لمطالبة السوريين. إذا طالبوا بهضبة الجولان كلها فسنفعل ذلك نحن أيضاً. لست أرى سبباً يدعونا إلى الإقلال من مطالبنا. وكما أننى لا أقول للأسد ما ينبغى ألا يطالب به عند دخول المفاوضات، فإنى أتوقع أيضاً ألا يقول لى مسبقاً مت ينبغى ألا أطالب به.

المشكلة فيما يتعلق بالجولان أمنية أساساً. توجد لدينا فعلاً روابط عميقة جداً بالجولان (...) لكن على الرغم من وجود الرابطة العاطفية القوية، فإن هذه الرابطة ليست الأمر الأساسى. الأمر الأساسى هو المسألة الأمنية. يقول الناس لى: لقد أعطيتم مصر كل سيناء. هذا صحيح طبعا، لكن لدينا هناك، على الحدود المصرية، عمقاً استراتيجياً يبلغ مداه ٢٠٠ كم. أفترض أنه لو كان لدينا عمق استراتيجى يبلغ مداه ٢٠٠ كم فى هضبة الجولان لاستطعنا بيسر أن نبلور تسوية مماثلة مع السوريين. الصعوبة هى فعلاً أنه لا يوجد لدينا عمق استراتيجى على

الحدود الشمالية، بل يوجد ارتفاع استراتيجى، وهذا سنفقده إذا نزلنا من هضبة الجولان وجبل الشيخ.

يقول الناس لى: هناك اليوم صواريخ فى العالم، وفى عصر الصواريخ المساحة ليست مهمة. هذا صحيح، الصواريخ مشكلة لكن الدبابات أيضاً مشكلة، والدبابات التى تأتيك من الأعلى إلى الأسفل مشكلة مضاعفة. بمعنى معين، فى عصر الصواريخ، تصبح المساحة بالذات أكثر حيوية، لأن التشكيلات الأرضية للطرف الآخر تتمتع الآن بمساندة صواريخ أرض - أرض قادرة على إرباك انتشار جيشنا الاحتياطى وعرقلة الدفاع عن الحدود. لذا، فإن حاجات الدفاع الأرضية لا تزول فى عصر الصواريخ، بل تكتسب مزيداً من الأهمية. وتوجد للأماكن المرتفعة طبعاً أهمية عليا بالنسبة إلى الأغراض الاستخباراتية. نظراً إلى جميع هذه الأمور، فإن المشكلة فيما يتعلق بالجولان هى أولاً وقبل كل شئ مشكلة أمن.

لا يكفى الكلام على التطبيع مع سوريا، الذى سيكون فى أحسن الأحوال بارداً جداً، ولا يكفى الكلام على استيعاب (السلام) والتغيرات السيكولوجية، التى ستكون فى أحسن الأحوال جزئية جداً. يتعين علينا أن نبقى أساس الردع فى أيدينا، وللمحافظة على أساس الردع، نحن بحاجة إلى ترتيبات أمنية كافية. هذه هى المشكلة التى نواجهها والتى سنضطر إلى مجابهتها حول طاولة المفاوضات.

[......]

أنا متفائل جداً !!

★ قلت فى عدة مناسبات إن الصهيونية تواجه اليوم أخطاراً وفرصاً لم يكن لهل مثيل فى تاريخها؟

- كما قلت لك، إننا نسير نحو العالم السياسى للقرن الحادى والعشرين، الذى سيكون عالماً متعدد الأقطاب، وبالتالى معقداً وغير مستقر. وستكون مهمتنا الأساسية أن نتعلم كيف نناور فى هذا العالم الجديد. فى هذا العالم سنواجه تهديدين:

من جهة، هناك التهديد الداخلي المتمثل في النزعة التحريرية القومية الفلسطينية، ومن جهة أخرى، هناك التهديد الإسلامي. الرد على التهديد الأول يكمن في تنصل فلسطيني شجاع من الرؤية التحريرية القومية. يوجد هناك بين الفلسطينيين من تخلوا عن هذه الرؤية الهدامة. لكن يوجد أيضاً اتجاه معاكس. ينبغي ألا يكون هناك شك في ذلك. تتردد يومياً تصريحات عن تحرير كل فلسطين وعن مواصلة الجهاد وعن حق العودة. وهذه أقوال لها دلالتها. الكلمات لها دلالة. إنها تحافظ على الحلم وتؤثر في التفكير، والتفكير يؤثر في الأعمال. لذا، هناك ضرورة لتنصل واضح وحازم وشجاع، من جانب القيادة الفلسطينية المركزية كلها، من الفكرة التحريرية القومية.

أما التهديد الآخر، الإسلامي، فليس له — في تقديري — حل سهل. الحل المتاح — في تقديري — بعيد عن البيت. إن الذين يعتقدون أننا سنحل هذه المشكلة فقط بواسطة التطور الاقتصادي الإقليمي مخطئون، إنهم يفكرون بمفاهيم شبيهة بالماركسية. المشكلة ليست اقتصادية فقط، فالإسلام منتشر بين قطاعات عريضة جداً من السكان، وليس بالضرورة بين الطبقات الفقيرة منها فقط، لأنه يقترح حلاً لمشكلات البحث عن الهوية ومغزى الحياة، كما في حالة الاتحاد السوفيتي والشيوعية المثالية. إن الإسلام ـ كفكرة تلبي التطلعات والحاجات العميقة لأعداد غفيرة من الناس في أنحاء الشرق الأوسط، وترعاه دولة أم توجهه وتزكي شعلته ـ يشكل خطراً بكل تأكيد.

مع ذلك فإنني متفائل جداً لأنني أؤمن بأن في استطاعة دولة إسرائيل — خلال الأعوام القريبة المقبلة — أن تزيد في قوتها أضعافاً مضاعفة. في العالم ما بعد الصناعي الذي نلجه، توشك إسرائيل أن تتحول إلى عنصر جبار، شديد الأهمية، لأننا متأهبون لاقتصاد المعلومات أكثر من أية دولة أخرى في العالم. إن عدد العلماء نسبة إلى السكان في البلد هو الأعلى في العالم، والمؤسسة الأمنية تنتج سنوياً آلافاً من الشبان الذين اكتسبوا خبرة فريدة في نوعها في مجال نظم المعلومات والحاسبات الإلكترونية والمحركات والأجهزة الآلية التي تقوم بأعمال الإنسان

(Robotics) ونظراً إلى أنه لم يكن هنا لا رأسمالية حقيقية ولا شيوعية، فإنه لا توجد لدينا ديناصورات صناعية ثقيلة ومتقادمة يجب التخلص منها.

في تقديري، إذا حررنا الاقتصاد من التدخل الحكومي الزائد عن الحد – وهذا ما سنفعله – فسنتوصل إلى تجسيد طاقاتنا الإنسانية الكامنة بصورة تنشئ للاقتصاد الإسرائيلي انطلاقة هائلة وسريعة جداً. إذا كان الناتج القومي للفرد عندنا حالياً، وقبل أن تمر بنا الثورة التاتشرية، يقارب مثيله في بريطانيا ـ نحو ١٦ ألف دولار ـ فستمكن، بعد أن تمر بنا هذه الثورة، من مضاعفته خلال خمسة عشر عاماً. سيقترن هذا المسار أيضاً بتضاعف عدد السكان، ولذا سنصل إلى وضع سينمو الاقتصاد الإسرائيلي فيه ثلاثة أضعاف أو أربعة أضعاف خلال عقد ونصف عقد. عندها سنصبح من أغنى دول العالم، لا بصورة نسبية، بل بصورة مطلقة. وعندما يحدث ذلك، ستتغير معالم وجودنا كلها في الشرق الأوسط وفي الأسرة الدولية. سنتحول إلى شريك حقيقي، إلى شريك متكافئ، إلى عنصر دولي من المرتبة الأولى[1]. [......]

خطة لتكريس العداوة

من خلال سلسلة الحوارات التي أجراها مع ملحق "هاآرتس" وفر بنيامين نتنياهو الفرصة للاطلاع على عالمه الروحاني وعلى أفكاره السياسية والمنهج المنظم الذي فسره، حسب شهادته، هو الخريطة والبوصلة اللذان يوجهانه في إدارة شئون الدولة. ومن حق اهتمامات الجمهور دراستها وفهم معانيها.

إن نتنياهو يعرض صورة متشائمة للعالم: فإسرائيل هي زورق صغير يتحرك على سطح فيضان من التطرف الديني الإسلامي الذي يهدد في كل لحظة بقذفها لأعماق البحر. وإذا لم تعش إسرائيل طوال الوقت بمشاعر التهديد الذي يحلق فوق

(١) "مجلة الدراسات الفلسطينية" العدد ٢٩ ـ شتاء ١٩٩٧ من ص ٩٢ ـ ١٢٠ والحديث منشور في "ملحق هاآرتس" في ٢٢ نوفمبر ١٩٩٦.

جوهر وجودها، وإذا لم تكن مستعدة طوال الوقت للدفاع والتحصن من جراء هذا الخطر، فإن مصيرها المحتوم هو الانقراض والفناء. إن المشكلة الفلسطينية تعتبر في شكلها الجزئي، مشكلة تقرير مصير، لكن في جوهرها هي عنصر من عناصر التهديد العربي (الذي يعتبر عرب إسرائيل جزءاً منه!) على دولة إسرائيل، والطريق لحلها لا يكون بإنشاء دولة.

إن البعد المثقف المتبلور الذي دمجه نتنياهو في حديث يدعو لإبداء ملحوظة من نفس المجال: فعالم الفكر لديه مبني على إلقاء الشكوك وعلى الدراسة المتأنية الدائبة للاتفاقات. ولنتنياهو يعرض موقفاً متشدداً، متكاملاً، والذي يترك أية ثغرات لعبور الرياح. وعلى عكس وجهة النظر الحتمية – وكأنها قضاء وقدر – والتي وفقا لها قدر لإسرائيل أن تحيا لأجيال عديدة على الخراب، فإن هناك قوة مماثلة – على الأقل – للرأي السائد باستغلال الفرص من أجل تغيير مسيرات وعلاقات بين الشعوب. إن التاريخ البشري عبارة عن قصة لا تتوقف عن شعوب تصالحت بعد أن سفكت كل واحدة دماء الأخرى، كما أن التاريخ أيضاً شاهد على الشخصيات التي تولت مناصب الزعامة في دولهم ونجحوا في تغيير كامل لعلاقاتهم مع خصومهم.

ولو أن نظرية نتنياهو كانت الوحيدة السائدة في العلاقات الدولية لكانت الحروب والاتفاقات الدولية استمرت للأبد.

وخلاصة أقوال لنتنياهو هي معارضته لتقسيم أرض إسرائيل. ومن هذا الموقف تنبع معارضته الهجومية لإقامة دولة فلسطينية, ويبرر نتنياهو موقفه برؤيته المبدئية لإسرائيل كدولة معرضه للضرر ومكشوفة لمؤامرات الإسلام المتطرف، لكنه متهم بأن تفسيراته الآنية تأتي للتغطية على رغبة اليمين في التمسك بأرض إسرائيل الكاملة وليكن ما يكون.

ويفتح لنتنياهو نقداً لاذعاً على "العقلية المغلقة" التي يرجعها لشيمون بيريز التي جلبت ـ حسب رأيه لرئيس الوزراء السابق ـ وقوعه في أخطاء الأوهام بأنه من الممكن تغيير علاقات العداء بين إسرائيل وجيرانها. وبنفس المعيار يمكن الزعم بأن

نتنياهو هو الذى يعانى من تلك الظاهرة وهى التى تؤدى بـه إلى تكوين وجهة نظر كئيبة، تتسم بالقوة ولا تلقى بالاً للتغييرات التى تطرأ داخل الشعوب وفى العلاقات بينهم.

إن فى داخل كل إسرائيلى، حتى ذلك المنتمى لليسار، يكمن إنسان قلق من نوايا العالم العربى. وقد دق نتنياهو على أوتار الخوف هذه فى أحاديثه مع أري... شافيط، وهذه الخدعة لا يجب أن تشوش على الأصل: فنظرية نتنياهو تبعث على القلق، ليس فقط بسبب طبيعتها لكن أيضاً بسبب وضوح وبروز فجوة من الصعب رؤية كيفية تجاوزها، وذلك بينهما وبين الضرورة الملقاة على عاتقه فى اتخاذ القرارات السياسية يومياً. وإنه من الصعب رؤية إنسان تلك هى عقيدته، وتلك هى صورته الروحانية يكون مؤهلاً لعمل حلول وسط ضرورة من أجل أن تزول الكراهية والعداء ونقص الثقة التى بين إسرائيل وجيرانها [1].

خريطة التسوية النهائية

★ رئيس الوزراء السيد بنيامين نتنياهو، هل لديك فى أحد أدراج مكتبك خريطة دقيقة للتسوية الدائمة مثلما تراها؟

- نعم .. لدى خريطة دقيقة لكل ما كنت أريد أن أحققه فى التسوية الدائمة، لكن من الضرورى أن أناقش ذلك أولا مع جميع أعضاء الحكومة قبل أن أعرض هذه الخطة على الجماهير. فقد وصلنا إلى مرحلة من الضرورى أن تجرى فيها مناقشة مثل هذه الأمور مع الجماهير.

★ هذا يعنى أنك سوف تعقد اجتماعاً للحكومة فى الأيام القادمة من أجل مناقشة التسوية الدائمة؟

- ستكون هناك سلسلة من المناقشات طوال الأشهر القادمة وسنبلور خلالها

(١) هاآرتس ٢٤ نوفمبر ١٩٩٦، مختارات إسرائيلية - مصدر سبق ذكره - السنة الثالثة العدد ٢٥ يناير ١٩٩٧.

موقفنا ونظريتنا من خلال التركيز على شيئين هما: من الصعب تصور تنفيذ إعادة الانتشار الثانى بدون التطرق إلى الهدف النهائى. وأما الشئ الثانى فهو لأننا سوف نبدأ المناقشات مع الفلسطينيين حول التسوية الدائمة. ومن السهل الوصول إلى غايتك إذا عرفت فى أى اتجاه تسير. وأنا أعرف فى أى اتجاه أسير بالضبط ولكن من الضرورى أن تكون الحكومة شريكة فى كل ذلك.

*** هل أعددت عدتك فى مسألة التسوية النهائية؟**

ـ منذ "ثلاث سنوات".

*** أو لم يتغير أى شئ؟**

ـ الشئ الوحيد الذى تغير فى هذا الصدد هو أنه أصبحت هناك حقائق واقعة. وهذا يغير الخريطة على الأرض، وكذلك خريطة الصلاحيات. وسوف تناقش التسوية الدائمة هذين الموضوعين: موضوع الأرض وموضوع الصلاحيات فيما يتعلق بالسلطة الفلسطينية.

*** هل أخطرت مبارك وكلينتون وحسين بهذه الفكرة؟**

ـ لم أخطرهم ولكنى ألمحت لهم بشئ ما عن هذه الأفكار.

*** هل تؤمن بقدرتك على التوصل إلى التسوية الدائمة من خلال معرفتك بالمطالب الفلسطينية؟**

ـ أعتقد ذلك .. وإذا أصروا على مطالبهم فمن المؤكد أننا لن نتوصل إلى تسوية، وهذا واضح تماماً. ويجب على الفلسطينيين أن يعيدوا النظر فى مطالبهم. وهذا واحد من الشروط الثلاثة التى وضعتها من أجل التوصل إلى تسوية، مثلما أعدنا النظر فى مطالبنا وآمالنا بحيث تتفق مع الواقع. والفلسطينيون لم يستوعبوا حتى الآن حقيقة أننا موجودون على أرض الواقع. وهم يعتقدون أن هذا شئ مؤقت، وأنه سوف يمر، وأن حرب الأيام الستة سوف تمحى وكأنها لم يكن لها وجود وأننا سوف نعود إلى حالة الحنين التى كانت عليها الدولة فى ذلك الوقت، وأننا سوف نوافق على أن نتقلص عند حافة الشاطئ أسفل الدولة الفلسطينية التى توجه لنا تهديداً مستمراً. وهذا لن يحدث. لذلك ومثلما أننا نعترف بحقيقة أنه يجب

اتخاذ خطوات معينة من أجل التوصل إلى السلام فإنه من الضرورى أن يكـون هنـاك أيضاً استعداد لدى الطرف الآخر.

* **هل استمعت إلى الشائعات بشأن حكومة الوحدة الوطنية؟**

ـ لا .. هل يتحدثون عن ذلك؟

* **نعم .. بيريز يحيك البـدل مـرة أخرى ويصـدر انطبـاع بـأنك فـى الصورة.**

ـ لم أتفق مع شيمون بيريز على تشكيل حكومة وحـدة وطنيـة. هـذه نقطـة، وأنت يجب أن تعرف ذلك. وأنا أؤمن بأنه مادمنا نستطيع المضى فى طريقنا فإنه يجب أن نستمر فيه. وقد قلنا فى البداية إن كل من يريد أن ينضم إلى الطريق الذى نؤمـن به فلن نرفض. ولكن ليس هناك مثل هذا الاتفاق، لذلـك لـن تكـون هنـاك حكومـة وحدة.

* **من وجهة نظرك، هل الأسباب التى تدعو إلى إقامة وحدة وطنيـة قد زادت فى الفترة الأخيرة؟**

ـ لا .. وأعتقد أننا قد نجحنا فى هذه المرحلة فى فعل ما نعتقد أنـه صحيـح. وقد كانت هناك تهديدات على الحكومة من جانب بعض أعضاء الكنيسـت. وآمـل أن يكونوا قد ردوا إلى صوابهم وليس بصورة مؤقتة. ومن المؤكد أننى لم أتحمل ذلك ولم أقبل شروط وإملاءات بشأن إعادة الانتشار ولم أوافق على قبول هذه الشـروط. وفى مرحلة معينة ضحكت وسخرت عندما نظموا مظاهرات ضدى بعـد أن أعلنـت أننى سوف أبنى فى جبل أبو غنيم وقالوا إنه إذا لم أبن هنـاك فسـوف ينسـحبون مـن الائتلاف, وأنت تعرف مسبقاً ما هى النتيجة، وعلى الرغم من ذلك تقف مــن أجـل إلزام الحكومة بإصدار قرار أصدرته بالفعل.

* **هل يعتبر شيمون بيريز هو السوط الذى تضعه عل مكتبك ضد اليمين؟**

ـ لا أعتبر شيمون بيريز سوطا وأنوى أن أفعل ما التزمت به فى الانتخابـات .. أى السلام الذى نستطيع أن نتعايش معه. وأنى آمل أن يكون الجانب الفلسطينى

قد أدرك أننا لن نقبل أية صورة أخرى من صور السلام. وعلى افتراض أن هناك تفاهماً فإنه من الممكن إنهاء العملية المعقدة والصعبة. ومادمت أستطيع الاستمرار في هذا الطريق وأن أحظى بتأييد الشعب وأنا أؤمن بأن معظم الشعب يؤيد هذا الطريق. فسوف أفعل ذلك.

★ أعتقد أن الفلسطينيين لا يفهمون ذلك؟

ـ انظر. إنهم يحاولون طرح الجانب الشخصي للمشكلات التي نواجهها، وعلى الرغم من أن هذا الجانب موجود وقائم إلا أنه هامشي .. والمشكلات مع السلطة الفلسطينية ليست بسبب أنني على خلاف مع ياسر عرفات، حيث إننا متفاهمان سوياً. والمشكلة الأساسية هي أن السلطة الفلسطينية أدركت أن الحكومة الحالية تختلف عن الحكومة السابقة، أي أننا لن ننسحب من ٩٠٪ من المناطق ولن نقسم القدس. لذلك تزايد غضب السلطة الفلسطينية.

والادعاء الأول الذى يطرحونه هو أن المشكلة لا تكمن في الاتفاق لأننا ننفذ الاتفاق ولكن في روح الاتفاق. وهذه هي الأغنية الجديدة، روح الاتفاق ومغزى ذلك هو أن السلطة الفلسطينية تستطيع أن تنتهك الاتفاق والأساس هو الحفاظ على روح الاتفاق. وهذا أمر غير معقول لدينا حيث إننا نطالب بأن تنفذ السلطة الفلسطينية الاتفاق، وهذه هي روح الاتفاقية من وجهة نظرنا مادمنا ننفذ الجزء الخاص بنا. وأود أن أقول إن مسألة القدس لا تتصل بالاتفاق لكنها تتصل بوجود الشعب اليهودى ومستقبل دولة إسرائيل.

★ هل خطط عملك تشمل أيضاً احتمالات حدوث مواجهات وصراعات ودم وإرهاب على طول الطريق؟

ـ لقد حصلنا على تقديرات واضحة من الجهات المخابراتية من أن البناء في جبل أبو غنيم يمكن أن يؤدى إلى تصعيد في الموقف. وأعتقد أن الحكومة قدرت بالإجماع أنه محظور علينا في أية مرحلة من المراحل خاصة في بعض القضايا مثل القدس أن نخضع لتهديدات استخدام العنف أو ابتزاز الإرهاب. فعندما نخضع مرة واحدة لن يكون لذلك نهاية. وإذا خضعنا في مسألة القدس متى إذن لا نخضع؟

ويجب أن نفكر فى الحساب القومى العام. وإذا لم نواجه التهديدات فإن هذا الأسلوب سوف يطاردنا حتى الخط الأخضر وما وراءه.

★ هل أعطى عرفات بالفعل الضوء الأخضر للإرهاب؟ وهل هناك معلومات فى هذا الصدد؟

- كانت هناك مداولات بين "حماس" والسلطة الفلسطينية، وبين الجهاد الإسلامى والسلطة الفلسطينية. وهذه المنظمات تفسر ما جاء وما قيل لها على أنه ضوء أخضر. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد تم الإفراج عن بعض النشطاء الأساسيين ومن بينهم رئيس الجناح العسكرى لحماس، وهم يعلنون فى المنشورات التى تصدر بعد الإفراج عنهم أنهم سوف يمارسون أعمالاً إرهابية. وإنى مضطر لأن أعلن أنه من الصعب تفسير ذلك بطريقة أخرى. فما مغزى الإفراج عن هؤلاء الأشخاص؟ إنهم لم يتوبوا.

★ ماذا سيكون ردنا فى حالة تفجير أتوبيس؟

- من المؤكد أننا لن نستطيع أن نستمر فى التعرض للهجمات الإرهابية. وأنا أيضاً أستطيع أن أفرق بين الأحداث الإرهابية التى لا يمكن السيطرة عليها وبين تلك التى يمكن أن تحصل على ضوء أخضر. ومن الممكن أن تقع مثل هذه الأعمال ونحن لا نتوقع أن تكون النتائج بنسبة ١٠٠٪، لكن يجب على الأقل أن تكون الجهود بنسبة ١٠٠٪. لكن عندما تفتح السلطة الفلسطينية أبواب السجون وتفرج عن رؤساء الإرهابيين الذين يعلنون بأنفسهم أنهم ينوون استئناف العمليات الإرهابية، من الواضح أننا يجب أن نعتبر السلطة الفلسطينية مسئولة عن العمليات الإرهابية التى ينفذها مثل هؤلاء الأشخاص، وسوف نرد وفقا لذلك.

★ بعد انتخابك، اضطررت عرفات إلى بذل جهود مضنية إلى أن التقيت معه .. والآن تحول الحال، حيث إنك تنتظره وهو لا يجئ؟

- إنى لا أنتظره، وكل ما يقال فى هذا الصدد يعتبر شيئاً غريباً بالنسبة لى. وهو لا يعكس ما يحدث، ونحن على استعداد للقاء بعضنا البعض ونتبادل الرسائل، لكنى لا أنتظره. ويقولون إنى أجلس هنا حتى أوقات متأخرة أنتظر عرفات وأنا

أقضم أظافرى. لكنى أؤكد لك أنى ذهبت إلى المنزل مبكراً وتناولت الطعام مع أفراد أسرتى وذهبت للنوم واتصل بى أحد المساعدين عند منتصف الليل تقريباً، وكنت أغط فى نوم عميق، وقال لى: هل أنت على استعداد لأن تقوم من النوم؟ فقلت له: من الأفضل أن ينتظر حتى الصباح ويخبرنى بما يريد أن يخبرنى به. وهذه هى قصة انتظار اللقاء .. وهذا هراء بالطبع. وأهم شئ هو أن يقرر الجانب الفلسطينى إذا كان يريد أن يستمر معنا فى عملية السلام أم أنه يرغب فى المواجهة والعنف والإرهاب. إن القرار يعتبر قرارهم وليس قرارنا، لقد اتخذنا قرارنا ونريد أن نستمر فى عملية السلام، لكننا فى الوقت نفسه لن نستطيع تحمل الإرهاب حيث إننى لم أنتخب من أجل ذلك.

* هل كان حديثاً صريحاً؟

ـ كان الحديث صريحاً للغاية، ولن أخفى عليك أنه من الممكن أن يكون هناك تضارب فى المصالح فى المستقبل. وهذا أمر طبيعى، وبل ويحدث أيضاً مع أصدقائنا فى الولايات المتحدة الأمريكية بين الحين والآخر.

* ومع سوريا .. هل هناك جديد؟

ـ هذا يرجع إلى رغبة الأسد. لقد نقلنا له جميع الرسائل المطلوبة. ونحن الآن فى مرحلة انتظار إلى أن تتمكن الحكومة الأمريكية من معالجة هذا الموضوع. وليست هناك اتصالات مباشرة بيننا وبين السوريين، إنهم ينتظرون ليسمعوا من الأمريكيين. وبصفة عامة، فإنه بالنسبة للعالم العربى يعتبر هذا العام عام تكيف مع حقيقة أن إسرائيل دولة ديمقراطية فضلت أن تسير فى طريق آخر، وأنها لن تنسحب إلى خطوط ١٩٦٧، وأنها لن تتبنى جميع المطالب العربية. وفى الجانب العربى يجب أن يتكيفوا مع حقيقة أن المفاوضات لا تعنى تبنى المطالب العربية، ولكن تحاور ونقاش بين طرفين حول مطالب مختلفة بهدف التوصل إلى حل متفق عليه. وأود أن أقول إنه كانت هناك مطالب غير معقولة من جانب الفلسطينيين والسوريين على حد سواء. ومن الطبيعى أننا نمر الآن بعملية تكيف وليس هناك مانع من أن نشعر ويشعروا بالغيظ فى بعض الأحيان. وهذا هو الشئ الذى يخلق الواقع السياسى الذى

نعيش فيه. وإذا أعلنت حكومة إسرائيل أنها على استعداد للعودة إلى ضفتي اليركون وضفة بحيرة طبرية، فإن الضغط سوف يتوقف لوقت معين وسوف تخف حدة الاحتكاك، ولكن بعد ذلك سوف نستمع إلى تهديدات جديدة.

*** إن قائد سلاح الطيران يتحدث عن حدوث خلل في الميزان الاستراتيجي, ما هي التهديدات التي تواجهنا؟**

ـ لا أعتقد أن هناك تهديداً موجهاً الآن إلى كيان دولة إسرائيل ووجودها، باستثناء تهديد واحد من الشرق وهو تسلح إيران بصواريخ باليستية وأسلحة نووية. وهذا لن يحدث على الفور، لكن هذه عملية تمضي نحو الأمام، وأنا أوليها أهمية كبيرة. وسوف تنتظم الأمور مع الفلسطينيين والسوريين. لكن إيران تحولت في الأشهر الستة الأخيرة وبمساعدة التكنولوجيا الروسية إلى تهديد جوهري. والهدف الرئيسي الذي تسعى إليه دولة إسرائيل هو وقف التهديد الإيراني.

*** في حالة عدم وجود خيار هل ستستخدم القوة؟**

ـ إن الشيء الذي يجب أن ندرسه جيداً هو نوعية التهديد وعناصره، وبعد ذلك أساليب العمل الممكنة. وأنا لا أقترح أن نبدأ العمل بهذه الأساليب من الآن. ونحن نعرف أن هناك سلسلة من الوسائل وعلى رأسها الوسائل السياسية، التي يمكن بواسطتها القضاء على هذا التهديد.

*** هل زيارتك لروسيا ساعدت على خدمة هذا الهدف؟**

ـ نعم بصورة جزئية، لكن ليس بصورة كبيرة، وذلك لأن لروسيا ـ حسب المعلومات المتوافرة لدينا ـ دوراً كبيراً في إيجاد هذه القدرة الإيرانية. وسوف نضطر إلى مناقشة هذه المشكلة مباشرة مع روسيا، وكذلك من خلال الاتصالات مع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأخرى. وقد قلت ليلتسين إني أتفهم احتياجات وضرورات الصناعات العسكرية الروسية التي تعاني من البطالة، لكنني أعتقد أن من مصلحة روسيا أيضاً ألا توجد الصواريخ في إيران، لأنها تستطيع أن تضرب جميع الذين يوجدون في دائرة قطرها ٣٦٠ درجة، بما في ذلك روسيا نفسها. لذلك فإني أولي أهمية للجانب المنطقي للحوار وأيضاً الجانب العملي،

خاصة فيما يتعلق بإتمام الصفقة الأولى والكبيرة بيننا وبين الصناعة العسكرية الروسية، وذلك حتى يكون لهم حافز فى الاتجاه العكسى. ومن المؤكد أن هذا لن يكفى وسوف نضطر إلى توسيع نشاطنا فى هذا الصدد. وسوف نوضح مدى خطورة تزويد إيران بتكنولوجيا باليستية وأن ندعم هذه المطلب بالوسائل السياسية.

ومن المعروف أن بنيامين نتنياهو لديه خطة بشأن التسوية الدائمة. وأقصد أن لديه صورة دقيقة للخريطة التى يرغب فى إظهارها فى نهاية المطاف، لكن المشكلة الوحيدة هى أن لياسر عرفات خطة خاصة به وليس هناك أى وجه للتشابه بين الخطتين.

وبصفة عامة هذه هى خطة بنيامين نتنياهو للتسوية الدائمة.

١- سيتم تسليم مساحة تتراوح ما بين ٤٥ ــ ٥٠٪ من مناطق الضفة الغربية، والأساس فى هذه الخطة "خريطة المصالح الأمنية لإسرائيل" فى الضفة الغربية التى عرضها جيش الدفاع الإسرائيلى على الحكومة. وطبقا لهذه الخريطة سيكون من الصعب أن يتسلم الفلسطينيون أكثر من نصف مساحة الضفة دون المساس بالأراضى التى وصفها الجيش بأنها حيوية. وهذه الأراضى تشمل وادى الأردن وجوش عتسيون والقدس الكبرى ومنطقة خط التماس ومعظم المستوطنات بالطبع.

٢- سيكون نتنياهو على استعداد لإزالة جزء من المستوطنات والمقصود النقاط البعيدة والمعزولة، حيث إن بقاءها يمكن أن يحولها إلى جيوب داخل "بحر" فلسطينى. وبهذه الطريقة سيمنح نتنياهو قطعة من الحلوى لعرفات ويتنازل له عن بعض الأراضى كتعويض عن كل المناطق التى ستبقى فى أيدى إسرائيل. ويقول أحد المساعدين المقربين من نتنياهو، إن هذا مجرد خيار فحسب وهو يرتبط بتطور المفاوضات.

٣- لن يتنازل نتنياهو عن السيادة الإسرائيلية الكاملة فى القدس ويرفض تقسيمها رفضاً مطلقاً. وسيكون على استعداد لمناقشة وضع الأماكن المقدسة والمضى فى

الإدارة الدولية لهذه الأماكن المقدسة مع وجود مفوضية فلسطينية. وفى حالة معينة يمكن أن يسمح برفع أعلام أخرى، بالإضافة إلى علم إسرائيل فوق هذه الأماكن المقدسة، لكن دون المساس بالسيادة الإسرائيلية العليا والواضحة على المنطقة.

٤- وفى ظل هذه الظروف لن تكون هناك مشكلة تواجه نتنياهو فيما يتصل بالاعتراف بإقامة دولة فلسطينية. لكنه سوف يصر على ألا تشمل هذه الدولة جيشاً نظامياً أو أسلحة ثقيلة من أى نوع. ومن أجل ذلك فسوف تضطر إسرائيل إلى التشدد فى المفاوضات المتوقعة حول مطار الرصيفة والميناء البحرى فى غزة. والاستجابة للمطالب الفلسطينية بأن يكون هناك وجود ضئيل جداً للإسرائيليين فى هذه المواقع سوف تساعدهم على إدخال أى شئ يرغبون فيه من أجل إقامة دولتهم الجديدة. وهذا يشمل الأسلحة الثقيلة.

وكانت هذه هى الخطوط العريضة للخطة. ويؤمن نتنياهو بأنه يستطيع أن يعبئ تأييداً كبيراً من جانب معظم أبناء الشعب لهذه الخطة وأغلبية حاسمة فى الكنيست. وهو يستطيع بواسطة هذا التأييد أن يتغلب فى المفاوضات مع عرفات على الضغوط الدولية والمواجهات، وكذلك الأزمات، والدم على الطريق.

وأول من سمع عن هذه الخطة وفى جلسة ثنائية كان الملك حسين. فقد حكى له نتنياهو عن الخطة خلال رحلتهما سويا يوم الأحد الماضى والتى استمرت وقتاً طويلاً. وعندما كانا يتنقلان لتقديم واجب العزاء فى ضحايا حادث "نهرايم" تحدث نتنياهو مع الملك عن ضرورة كسر الجمود وإيجاد صيغة جديدة تساعد على فتح الطريق المسدود الذى وصلت إليه عملية السلام.

وقد رد الملك حسين بإيجاب. والمشكلة هى أن نتنياهو لم يفهم بالضبط وقد بذل كل ما فى وسعه من أجل إقناع الملك حسين بخطته، وعرضها بألوان وردية وبتفاؤل مع إبراز النقاط الإيجابية (من ناحية الفلسطينيين) ومحاولة تهميش الصعوبات.

وقد حدث شئ من سوء الفهم لدى الملك حسين ولم يفهم نتنياهو على وجه

الدقة الأمر الذى جعل الفلسطينيين يعتقدون أن نتنياهو يعرض عليهم تنفيذ عمليتى إعادة الانتشار خلال الأشهر الستة القادمة. وقد آمنوا بشئ آخر نشر بعنوان كبير فى "معاريف"، وهو أن يوافق نتنياهو على الالتزام شفاهة بأنه لن يصادر أراضٍ ولن يبنى فى القدس حتى التسوية الدائمة. لكن جاءت قضية جبل أبوغنيم. وقد حدثت الإفاقة فى لقاء يعقوب بوردوجو ودانى نافيه مع الدكتور صائب عريقات يوم الاثنين الماضى. وفى أعقاب هذا اللقاء جاء تليفون عاجل من قصر الملك إلى مكتب رئيس الوزراء فى القدس، وكان دورى جولد المستشار السياسى أول من تلقى القذيفة.

وقال جولد وهو مقطب الجبين: "إن الملك يبحث عن رئيس الوزراء"، ولم يكن حديث التوضيح الذى دار بين الاثنين سهلاً. وكان يجب على نتنياهو أن يوضح لحسين سبب سوء الفهم، وأن يعيد عرض الأمور من جديد. وهذه المرة ليس من المؤكد أن الملك حسين اقتنع بما سمعه. ومن المؤكد أن عرفات أيضاً لم يوافق على هذه الأمور.

وكانت البداية على الرغم من ذلك طيبة وجميلة، لكن المحادثة التليفونية التى رتبها حسين بين عرفات ونتنياهو مساء يوم الأحد انتهت نهاية سيئة. واتفق الاثنان فى المكالمة التليفونية على عقد لقاء قمة خلال يوم أو يومين. لكن عرفات الذى حصل على التفصيلات الصحيحة للخطة الإسرائيلية رفض رؤية نتنياهو، فرئيس السلطة الفلسطينية الذى رفض خطة مشابهة عرضها نتنياهو بعد وقت قصير من الانتخابات، وجد صعوبة فى فهم المصدر الذى نبعت منه الفكرة مرة أخرى. وقد وجد صعوبة أيضاً فى فهم أين تكمن مزايا هذه الفكرة من ناحيته.

لقد ساءت الحالة النفسية لعرفات. ففى الدراسة التى قام بها أدرك رئيس السلطة الفلسطينية أن نتنياهو يلعب معه لعبة "العصا والجزرة". فمن ناحية يرسل تساحى هانجفى ليصدر تصريحات هجومية وتهديدية. ومن ناحية أخرى يعرض الخطة المغرية.

وقال عرفات هذا الأسبوع ليوسى ساريد: إن الفكرة هانجفى ليست جديرة بالرد عليها، وإنه رجل يشكل ظاهرة خطيرة. وفى المقابل قال مستشار ياسر عرفات

الدكتور أحمد طيبى إنه صدم شخصيا من أسلوب معالجة نتنياهو لتصريحات هالجفى.

وبذلك أرسل عرفات أول إشارة لنتنياهو وفى المقابل استمر فى محاولة فهم هل هناك بالفعل موافقة إسرائيلية هادئة لتجميد مصادرة الأراضى ووقف أعمال البناء فى القدس حتى بعد التسوية النهائية؟

وانتظر نتنياهو - وفى هذه الأثناء تسربت القصة ويبدو أنها تسربت عن طريق الفلسطينيين فى التليفزيون. وقد فهموا فى القدس أن عنصر السرية قد أصبح مفقوداً، وقرروا نشر القصة وفور نشرها حدثت العاصفة.

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن: هل نحن بصدد فكرة ثورية من جانب نتنياهو بهدف دفع الأطراف نحو الحل؟ أم أننا بصدد مناورة فى مجال العلاقات العامة من جانب نتنياهو سرعان ما سوف تتلاشى.

إن نتنياهو يحاول طوال الأشهر الماضية وبعد أن أصبح رئيساً للوزراء أن يكسب الوقت، أن يلعب الشطرنج مع عرفات ويتعلم من الأخطاء، وإذا كان نتنياهو قد خسر مباراة تلو الأخرى فإنه يعيد الكرة الآن.

ولكن رئيس الوزراء وضع كمية كبيرة من البيض فى سلة ممزقة تسمى جبل أبو غنيم. وهو يعرف جيداً أن تصعيد الموقف يمكن أن يؤدى فى نهاية الأمر إلى انهيار السلام، وأنه سيكون المسئول الرئيسى عن ذلك.

وفى المقابل فقد وضع الحادث الإرهابى (لهرايم) عرفات فى ركن الزاوية، وحيث إن رئيس السلطة الفلسطينية ليس طفلاً فقد نجح فى التخلص من هذا الموقف الحرج بواسطة بعض الألاعيب، وأن يرد على نتنياهو ببعض الخطوات الذكية.

وهنا جاء نتنياهو بفكرته الجديدة وجمع كل الورق. وبصورة مفاجئة تحول نتنياهو إلى صاحب مبادرة وإلى رائد وصاحب أفكار جديدة. فقد عبر جدول الأعمال وحول الانتباه من البلدوزرات الصفراء فوق جبل أبو غنيم إلى اقتراحها الحاسم.

وبدا نتنياهو وكأنه يريد أن ينقذ عملية السلام وأن يقيم سلماً يمكنه هو

وياسر عرفات أن ينزلا بواسطته من فوق شجرة النزاع العالية والاستمرار سويا في السير على أرض الواقع. وعلى ضوء ذلك من يتذكر مجموعة المبادرات الطيبة التي عرضتها إسرائيل على الجانب الفلسطيني مقابل البناء في جبل أبو غنيم؟ ومن يتذكر مشكلة طائرة ياسر عرفات وأن الذي حلها هو رئيس الدولة عيزرا فايتسمان قبل أسبوعين؟

(وهذا الأسبوع قام أحد المسئولين الفلسطينيين بالاتصال برئيس الدولة وشكره على هذا الموقف).

وهذا الأسبوع سمعنا من يصف نتنياهو بأنه مدمرة حربية ثقيلة تجوب البحار ويعرف القائد من أية نقطة خرج وإلى أية نقطة يرغب في الوصول إليها، وذلك على عكس ما تصوروه قبل ذلك، حيث إن القائد لا يقود المدمرة مباشرة إلى الهدف لكنه يسير في منحنيات في البحر بدون توقف. يسير يميناً وشمالاً وشمالاً ويميناً. فذات يوم نجده يساريا باع لنفسه لاتفاقية أوسلو وفي الغد يعود إلى نظريته السابقة، ويقسم على قبر جابوتنيسكي، ويبكي في جبل أبو غنيم. ولا يجد القائد أية مشكلة في هذا الطريق المتعرج حيث إن البحر يمحو كل شيء ولن يتذكر أي أحد كيف وصل إلى النقطة النهائية وهي نقطة الهدف. فقد خرج في رحلته البحرية من ميناء الوطن أو من نتيجة الانتخابات الأخيرة، ومن يعتقد أن نقطة الهدف هي التوصل إلى تسوية دائمة مع الفلسطينيين لا يفهم قائد المدمرة فهما سليما حيث إن هدفه الأساسي هو الانتخابات القادمة. وكل ما سوف يأتي على الطريق الوسيلة وليس الغاية (١).

أنا سأحقق السلام!!

أنه متفائل، "نحن في مرحلة التكيف" قال بنيامين نتنياهو في مقابلة صحيفة "معاريف": "هذا صعب، وسيكون مصحوبا بالصعوبات والعقوبات. لكنها تسير

(١) بن كسفيت معاريف ٢١ مارس ١٩٩٧ – مختارات إسرائيلية – المصدر السابق نفسه.

على ما يرام. وخلافا لكل ما يقولوه عن الحروب، من الممكن أن نهدأ. نحن لسنا على شفا الحرب، ولسنا على وشك المواجهة. نحن في طريقنا للمفاوضات حول التسوية الدائمة، مثلما أردت. ستكون هناك بعض التغييرات في التسوية المرحلية. الفلسطينيون يدركون أنه ليست هناك طريقة أخرى، ولا يوجد شريك آخر.

★ يقولون إنك تسعى إلى صدام معهم، بحيث تهبط تطلعاتهم - في أعقاب هذا الصدام - إلى أقل مستوى، وبالتالى مستعد لمواجهة كهذه؟

- إذا وصلنا فليكن. كل شئ قد يحدث. ولكن من الصعب أن أصدق ذلك. أعتقد حقا أننى أستطيع التوصل مع عرفات إلى تسوية دائمة، وخلافا لكل ما هو متوقع لا أشك بذلك، ثمة هنا تكيف بطئ. تكيف عن قبلهم نحونا ومن قبلنا نحوهم، هذا ليس بسيطاً، لكنه يحدث.

★ هل تصدق عرفات؟

- عرفات يفهم أنه ليس لديه خيار آخر. خلافا للآخرين، إنه لا يصدق الانتقادات التى يروج لها ضدى والتى يغذيها هو بنفسه، إنه يفهم أن عليه التعاطى معى.

★ وكيف تفسر الخلافات الكبيرة بينكم؟

- أنا لا أريد أن أدخل هنا إلى نسب مساحات، ولكن في هذه الأثناء قمت بعدة أمور، نجحت في تعزيز مبدأ التبادلية، وأن أصر على المطالب الأمنية، وأن أوضح لهم أنهم لا يستطيعون التهرب من مسئوليتهم. هل تريدون احترام الاتفاقيات؟ التزموا بنصيبكم قبل كل شئ. بعد ذلك أدخلت إلى جدول الأعمال المسار السريع للتسويه الدائمة. وأقنعت الجمهور في إسرائيل والأمريكيين والآن الفلسطينيين أيضاً. بدأنا نبحث في المجلس الوزارى مع خرائط، نحن في طريقنا لبلورة اتفاق وطنى عشية المباحثات حول التسوية الدائمة. في النهاية سنصل إلى كامب ديفيد، وسندخل إلى الغرف لأسبوع، أسبوعين، ثلاثة، إلى أن يخرج الدخان الأبيض. في النهاية، ومهما طال الزمن سيخرج الدخان الأبيض . ستكون هنا تسوية دائمة.

* **هل تحاول أن تكون لغزا لنا جميعا؟**

- أعرف ما يجب عمله كى نصل.

* **ومع ذلك يبدو ذلك خياليا. كيف تمنح الفلسطينيين ٣٠٪ - ٥٠٪ من المساحة؟**

- لقد خفضنا توقعاتهم. هذه المهمة أنجزت. إنهم يفهمون اليوم أنه لو كان حزب العمل فى السلطة لكانوا قد واجهوا الوضع نفسه، والجمهور لن يسمح لأحد بالانسحاب إلى خطوط ١٩٦٧ فى ظل الإرهاب. لو حدث ذلك لاندلعت هنا حرب أهلية. تصور لو أن حزب العمل انسحب من كل الخليل؟ لا أحد يسمح بذلك. وعرفات ليس غبيا إنه يفهم.

* **إذن أنت تعتزم جلب السلام فى ولايتك هذه؟**

- نعم. أفكارى تتغلغل. تثير الاهتمام. فى البداية وسط الجمهور هنا. وبعد ذلك وسط الأمريكيين. وهى فى طريقها للفلسطينيين. فى نهاية الأمر، وبعد كل الأحتكاكات والمشكلات تتضح الأمور. نحن نحصل على الأمن. ويكون هناك مسار سريع للتسوية الدائمة, وتكون تسوية دائمة تحصل فيها إسرائيل على مناطق أمنية محددة وأقول لك هنا إننى سأمنح الفلسطينيين منطقة متواصلة غير متقطعة لإدارة حياتهم فيها. وفى اللحظة الحاسمة، وحين أطرح أفكارى للنقاش سيكون هناك إجماع وطنى. أنا مؤمن بأن حزب العمل سيؤيد ومن الصعب أن أصدق أن يؤيد الفلسطينيين فى هذه النقطة. بهذه الطريقة فقط نصل إلى السلام. إن التأخيرات الأخرى التى تحدثها التسوية الدائمة تلحق الضرر بفرص التوصل إلى سلام. لا أقول إن ذلك سيكون سهلاً. سيكون صعباً جداً، قد نضطر إلى عزل القدس وإبقائها إلى النهاية، وأن ننهى باقى الأمور ثم نعود للتفاوض حول القدس. قد يحدث ذلك، لكن الباقى، سنتوصل إلى حل بشأنه. وإذا كان ثمة أحد يستطيع ذلك، فهذا أنا فقط .. نحن فقط.

* **ثمة انطباع بأن نصف الشعب لا يريدك؟**

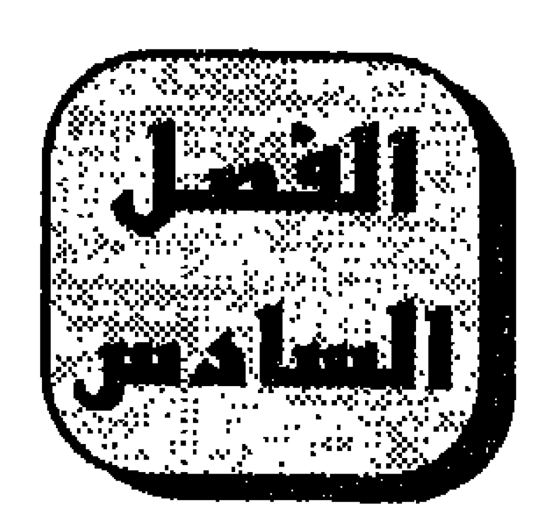
- قبل كل شئ. هذا ليس نصف الشعب. أعتقد أنه أقل. ثانيا حقيقة أن

جزءاً من الجمهور لا يقبل نتائج انتخابات ديمقراطية، هذه مشكلته، وليست مشكلتي. تصور ماذا يحدث هنا لو أن بيريز انسحب من الخليل. أنا أعرف كيف كان ذلك سيبدأ. ولكن لا أحد يعرف كيف سينتهي. لذلك فإن القول بأن الوضع سيكون أفضل لو لم أنتخب، غير مقبول لدى. وهو قول غير جدى.

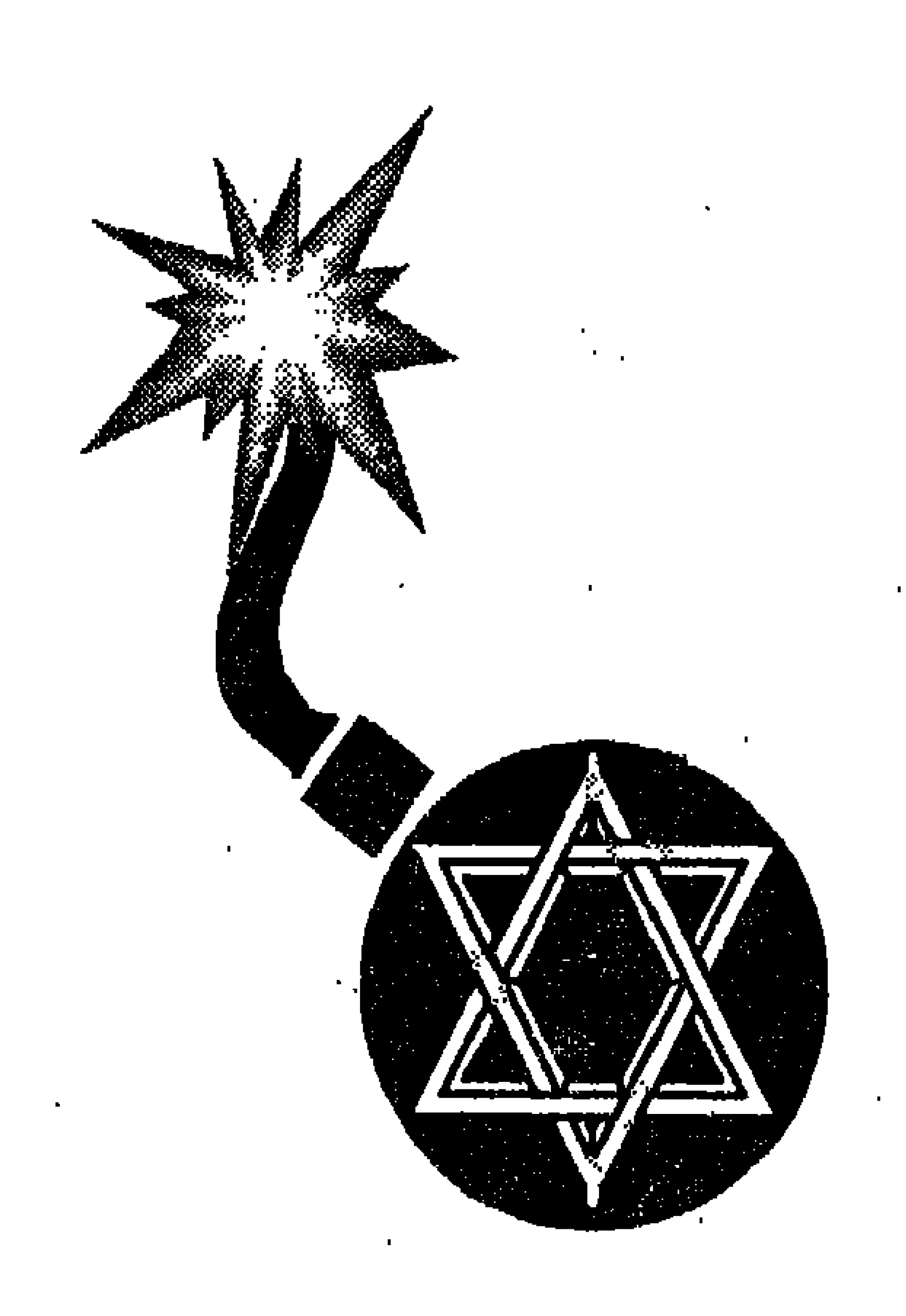
✱ هل لديك خطة لعام ٢٠٠٤؟

- انظر ..سأكون في الـ٥٤، رجل شاب ربما أكتب كتاباً .. ربما أواصل تكريس حياتي للدولة. لكن الأمر المؤكد هو أنه سيكون لدى الوقت الكافي لزوجتي وولدى[1].

(١)أجرى المقابلة: بن كسفيت معاريف - ١ أكتوبر ١٩٩٧ - ترجمة المصدر.



تحليلات إسرائيلية



إلى الكارثة للأمام در !

يورى أفنيرى

مسئول فلسطيني: نتنياهو لا يفهم ما يحدث في الشرق الأوسط

أعرب قادة السلطة الفلسطينية عن خيبة أملهم ومشاعر اليأس التي تسود بينهم، بسبب ما سموه "اختصار مسيرة السلام" في أعقاب صعود الليكود إلى السلطة.

وكان منسق محادثات السلام من قبل السلطة الفلسطينية "حسن عصفور"، قد هاجم بشدة رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو ومستشاره السياسي دوري جولد. وقد تحدث عصفور مع مجموعة من الصحفيين الإسرائيليين الذين تلقوا دعوة من "المركز الدولي للسلام" في غزة. وقال عصفور: إن السيد بيبي لا يفهم ما يحدث في منطقة الشرق الأوسط، ليس فقط على الساحة الفلسطينية، بل أيضاً على الساحل الإسرائيلية. "لم يزل بيبي لا يدرك أنه مازال خارج البلاد، بدلاً من أن يعي أنه في الشرق الأوسط. ويبدو أنه يفهم العقلية الأمريكية وعقلية يهود أمريكا، أكثر من فهمه عقلية الشعب اليهودي والشعب الفلسطيني". كما هاجم عصفور بشدة د. جولد وسماه ساخراً "العبقري"! "إن جولد يتعامل معنا كأعداء. وبهذا المفهوم لا يمكن أن تجرى بيننا مفاوضات، إنه ليس الشخص المناسب لإدارة مفاوضات معنا. وربما من الأفضل له أن يعود إلى محاضراته بالجامعة". وفي المقابل امتدح عصفور وزير الخارجية ديفيد ليفي، وقال إنه يدرك المصلحة الإسرائيلية طوال مسيرة السلام.

وقال فريح أبو مدين وزير العدل في السلطة الفلسطينية: "إنه في ظل وجود نتنياهو، قد تتحول إسرائيل قريباً إلى نظام ديكتاتوري". وأضاف: "إن

إسرائيل إذا زادت عدد المستوطنات إلى نصف مليون، لن يكون إقرار السلام ممكناً".

وذكر أمين الهيدى ـ رئيس الخدمات الأمنية ـ أن الجهات الأمنية الفلسطينية تعمل ما فى وسعها لمنع أية هجمات تخريبية داخل إسرائيل. وقال: "إن المعلومات المتوافرة لدى هذه الجهات، تشير إلى أن أى عامل من الفلسطينيين الذين يخرجون للعمل فى إسرائيل لم يتورط فى أية عملية، لذا يجب رفع الحصار. وأعرب الهيدى عن أمله، فى أن تطلق إسرائيل سراح الشيخ ياسين، الذى يستطيع ـ فى رأيه ـ أن يلعب دوراً إيجابياً فى إقناع "حماس" بوقف العمليات العسكرية[1].

مشكلة نتنياهو الفعلية

فى بعض الحالات يتصرف أفراد، أو ربما هيئات وجماعات، وفقاً لعقائد أو نظريات أو سلوكيات متماثلة، لكنها تتناقض مع بعضها البعض، وهنا يطلق علماء النفس على هذه الحالة اسم "ديسوننس كوجنتيف". يقول علماء النفس إن لدى الإنسان ميلا طبيعيا لأن يتطلع إلى التوافق بين معتقداته وسلوكه، لهذا فإن من يكون فى حالة "ديسوننس" سيعيد النظر فى بعض العناصر المتناقضة حتى يحقق هذا التوافق. ومن المتعارف عليه فى العلوم السياسية أن هذا الوضع يعتبر خطيراً على أصحاب القرار، خاصة إذا كانوا يميلون إلى إعادة تفسير الواقع من جديد، وليس إعادة النظر فى معتقداتهم، وحالة التناقض الداخلى التى تعانيها حكومة إسرائيل ونتنياهو الذى يرأسها، هى حالة واضحة أمام الجميع، من جانب، يؤمن نتنياهو ومستشاروه بكل جوارحهم، بأن اتفاقيات أوسلو ما هى إلا كارثة على الشعب الإسرائيلى، وأن ياسر عرفات ما هو إلا إرهابى كان هدفه هو القضاء على دولة إسرائيل. من جانب آخر، تم انتخاب نتنياهو وفقاً لوعده بأن ينفذ تلك الاتفاقيات

(١) معاريف ـ ١١ أغسطس ١٩٩٦ ـ نقلا عن "مختارات إسرائيلية" ـ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ـ العدد ٢٢٢ ـ السنة الثانية ـ أكتوبر ١٩٩٦.

التى وصفها أكثر من مرة بأنها مأساة، ولهذا فإنه مضطر لأن يتفاوض مع تلك المنظمة التى وصفها أكثر من مرة بأنها ذات نظام نازى، نتيجة لذلك فإنه يتخذ الآن موقفاً ذا تناقض داخلى واضح بين معتقداته وبين تصرفاته. وكانت الطريقة التى اختارها نتنياهو لحل ذلك التناقض الداخلى الذى يعيشه، هى وعده بالتوصل إلى اتفاق (أفضل كثيراً) من ذلك الذى توصل إليه الآخرون، إنه يحاول أن ينفذ وعده فى المداولات التى تتم حول مدينة الخليل حالياً.

بالنسبة له، فإن التوصل إلى اتفاق ذا فضل يعنى قص أجنحة السلطة الفلسطينية، وتقليص صلاحيتها فى المناطق التى لا تخضع لسلطتها، والحط من قدر الشرطة الفلسطينية وإعادة مسئولية مكافحة الإرهاب إلى أيدى جيش الدفاع الإسرائيلى.

تحقيق هذه الأهداف سيحل مشكلة التناقض التى يعيشها نتنياهو، وكذلك الحزب الحاكم كله سيصبح فى وضع تنفذ فيه الاتفاقيات حسبما وعد بذلك فعلاً، وفى الوقت نفسه يضعف وضع منظمة التحرير (الشريك) المناوئ لإسرائيل.

المشكلة هى أن أغراض نتنياهو تُناقض المنطق الداخلى الذى بناء عليه وضعت صيغ اتفاق أوسلو، كما تتناقض أهداف نتنياهو مع روح الاتفاقيات وتفرغها من أى مضمون بالنسبة لمفاهيم نتنياهو، ويعتبر ذلك نوعاً من التجمل فى عالم الواقع الذى ظهر فى أعقاب اتفاقيات أوسلو، وهذا يعتبر تخبطاً نهايته كارثة.

لم تكن الطفرة الكبرى لأوسلو فى صيغتها المكتوبة، ومن المستحيل أن نجد الثورة الكبرى التى أحدثتها الاتفاقيات فى البنود الملتوية للاتفاقية. لقد عبرت اتفاقيات أوسلو للمرة الأولى عن الاعتراف الإسرائيلى بالواقع، الاعتراف بالأبعاد المفسدة للاحتلال، والاعتراف بعدم جدوى نبوءة أرض إسرائيل الكاملة، والاعتراف بوجود شعب فلسطينى يجب التوصل معه إلى حل محترم ومنطقى حول هذه الأرض، والاعتراف بالحق المنفرد لهذا الشعب فى أن يختار زعماءه، وأن يدير شئون حياته حسبما يتراءى له. إذا حذفنا كل هذا من تلك الاتفاقيات، فإنها ستصبح عديمة الجدوى وميتة وتفتقد إلى المنطق.

تقوم اتفاقيات أوسلو على افتراض بأن الشعب الفلسطيني هو شعب طبيعي، قادر على أن يلفظ من داخله العناصر المتطرفة، وفي وقت الحاجة أن يشن ضدها حرباً شعواء، وكان من المفترض أن الضوء الذى يستطيع الفلسطينيون رؤيته فى نهاية النفق المظلم لاتفاق أوسلو، هو أنه سيعطيهم الدافع لأن يقيموا لأنفسهم مؤسسات وأن يسلحوا رجال شرطتهم ويطلقوا هؤلاء الشرطيين للتصدى لتلك العناصر التى تحاول إطفاء هذا الضوء. حتى بعد أن أطلق رجل الشرطة الفلسطينية النيران على جنود جيش الدفاع، أصبح الشرطيون العمود الفقرى الضرورى لهيكل أوسلو ككل. فى مقابل ذلك ظل نتنياهو ينظر إليهم على أنهم مخربون يرتدون ملابس عسكرية، وبعد الأحداث الدموية فى أعقاب فتح النفق حصل نتنياهو على التأييد العام من أجل العمل بقوة ضدهم وضد من أرسلوهم، كل هذا وهو يعتقد أنه (يقوم بتعديل) اتفاقيات أوسلو بالفعل. هذا الأسبوع قال نتنياهو إنه سيتم توقيع الاتفاق حول الخليل، لحظة أن تحقق إسرائيل كل أهدافها فى المفاوضات. وهذه الأهداف تتضح أولاً وقبل أى شئ بالوعد بازدهار الاستيطان اليهودى فى الخليل، بتعميق سيطرة جيش الدفاع داخل القطاع الفلسطينى والحد من صلاحيات الشرطة الفلسطينية، وكل هذا بتناقض تام مع المنطق الداخلى لاتفاقيات أوسلو. فى هذه الحالة لبس واضحاً ما الذى سينهار أولاً: التوازن الداخلى الحساس بين معتقدات وبين سلوك الوزراء، أو اتفاقيات أوسلو التى خرقت هذا التوازن[1].

مارش الحماقة الإسرائيلى

إن إسرائيل دولة يحيط بها الأعداء من كل جانب، ويزيد هذا الأمر بطبيعة الحال من خطورة أى خطأ ترتكبه الحكومة، ومع هذا فمن الواضح أن الأخطاء التى ارتكبناها قد تجاوزت فى فداحتها المدى، ولكن لجافى الحقيقية كثيراً إذا قلنا إن هذه

(١) حامى شيلو ـ معاريف ـ ٢١ نوفمبر ١٩٩٦ ـ مختارات إسرائيلية ـ المصدر السابق نفسه.

المنظومة المتوالية من الأخطاء تنطوى تحت مظلة مقولة "مارش الحماقة"، تلك المقولة التى أدلت بها الباحثة بايرا طوخمان عند الحديث عن طبيعة الأخطاء الإسرائيلية. وقد وقعت هذه الأخطاء كافة لأن الدبلوماسية الإسرائيلية تفتقر – على نحو مؤسف – إلى المقدرة على استخلاص الدروس والعبر، وقد يؤدى هذا الأمر إلى وقوع المزيد من الأخطاء، وإلى تحمل الدولة لأعباء بشرية واقتصادية وسياسية لا طاقة لنا بها.

وتتجلى أخطر هذه الأخطاء فى ظاهرة التمسك بـ "خطوط حمراء"، وفى حرصنا على تصوير بعض المبادئ فى صورة الخطوط الحمراء التى لا يحق لأحد التخلى عنها، وقد تحولت هذه المبادئ بالفعل إلى أسس تتحكم بدورها فى عالم السياستين الخارجية والداخلية الإسرائيلية. وكثيراً ما سارعنا بوضع مثل هذه الأسس والمبادئ التى حرصنا فيما بعد على أن نوجد لها مبررات سياسية وأمنية وأيديولوجية، وأسفر هذا الوضع عن أن السياستين الخارجية والداخلية أصبحتا رهينة فى أغلال هذه الأسس والمبادئ.

ولا تعتبر هذه المبادئ – التى يتم تصويرها فى صورة الخطوط الحمراء – عن أية مصالح فعلية، ومن ثم فكثيراً ما يتغير الموقف القومى خاصة عند تفجير أعمال العنف إزاء هذه الأسس من النقيض إلى النقيض، بل وسرعان ما يتضح أنه من الممكن التراجع عما كان يصوره البعض فى صورة الخطوط الحمراء، ويتضح لنا بالتالى أننا لا نتخلى عن هذه المبادئ والأسس إلا بعد أن يعتصرنا الألم.

وحقاً فما أكثر أعراض هذه الظاهرة المرضية، ويكفينا فى هذا المجال تذكر أن موشى ديان أعلن غداة حرب يونية ١٩٦٧ "أنى أفضل شرم الشيخ على التوصل إلى السلام المصحوب بالتخلى عن شرم الشيخ"، بل ورفضت جولدا مائير فى عام ١٩٧٢ اقتراح أنور السادات بشأن التوصل إلى تسوية جزئية فى منطقة القناة، نظراً لأنها تصورت أن ليس من الممكن السماح بوجود جنود شرطة مصريين على ضفة القناة الشرقية. ومع هذا فقد استجابت جولدا مائير عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣ – التى قتل فيها ثلاثة آلاف جندى إسرائيلى – للمقترحات

المصرية، ولم تكتف بالموافقة على وضع جنود شرطة مصريين على ضفة القناة الشرقية، بل وافقت أيضاً على أن يكون هؤلاء الجنود مسلحين، ولم تمض سنوات طوال حتى قرر ديان أن التوصل إلى سلام أفضل من الاحتفاظ بشرم الشيخ.

ويتضح حالياً من أحاديث بعض الشخصيات الإسرائيلية التى أسهمت فى ذلك الحين فى صناعة القرار، بل ومن بعض المصادر المصرية، أنه كان من الممكن منع نشوب الحرب بالوسائل السياسية. وفى حقيقة الأمر فإن الفشل الذى منيت به إسرائيل فى هذه الحرب لم يكن ناجماً عن سوء تقدير أجهزة المخابرات، بقدر ما نجم لأسباب سياسية.

وعند النظر إلى الغزو الإسرائيلى للبنان فى عام ١٩٨٢، نجد أن ذلك الغزو كان نتاج تلك الأسس والمبادئ التى امتزجت بالعنف الذى لا طائل منه، والذى ما زلنا نتجرع ثماره حتى يومنا هذا.

وتمثلت أهداف ذلك الغزو فى طرد منظمة التحرير الفلسطينية، والسوريين من لبنان، وإقامة حكومة لبنانية مركزية تقوم بالتوقيع على اتفاقية سلام مع إسرائيل، وأسفر هذا التدخل العبثى عن مقتل ٦٥٠ جندياً إسرائيلياً خلال الفترة الواقعة بين أعوام ١٩٨٢و١٩٨٥، ولم يسفر عن تحقيق أى شئ، إذ ظل للسوريين نفوذ قوى فى لبنان، كما أن الحكومة اللبنانية بقيت ضعيفة، وعلاوة على هذا وذاك فقد أصبح الشيعة من أعدائنا. وإذا كانت قضية سلامة وأمن الخليل قد شكلت الذريعة الرسمية لغزو لبنان إلا أن هذا الخطر ما زال يخيم على منطقة الخليل، وعلى نحو أكثر خطورة مما كان عليه الوضع قبل عام ١٩٨٢.

وكان من بين الأخطاء الإسرائيلية أن إسرائيل أكدت دائما أنه ليس من الممكن التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية، بل وأضفت مسحة قانونية على هذا الموقف، ومع هذا فقد أسفرت الانتفاضة الفلسطينية التى دامت على مدى ست سنوات والتى وقع خلالها مئات الضحايا من الفلسطينيين والإسرائيليين، عن جلوس قادة الليكود المتشددين مع ياسر عرفات.

وتعد تلك الأحداث التى شهدتها إسرائيل خلال الشهر الماضى بمثابة دليل

آخر على ذلك العرض المرضى المتمثل فى الإصرار على وضع خطوط حمراء لا طائل منها. وفيما يتعلق بالتسوية الخاصة بإعادة الانتشار فى الخليل، فإنها تتضمن بعض التغييرات الشكلية بالمقارنة باتفاقية أوسلو (ب)، وقد كان من الممكن أن يتم إدخال التغييرات فور قيام نتنياهو بتشكيل حكومته وبهدوء بالغ، بل وكان من الممكن التخلى عنها نظراً لأنها لا توفر الأمن الكامل للمستوطنين، كما أنها لا تحول دون حدوث أى انفجار فى أية مدينة.

إن ذلك العرض المرضى المتمثل في وضع خطوط حمراء ليس وليد ظاهرة من العمى الذى ألم بشعب إسرائيل، فكثيراً ما حذا البعض عند ظهور أعراض هذا المرض من أن بعض الأهداف غير واقعية، ومن أن تكلفتها باهظة، ومع هذا فكثيراً ما أتهم هؤلاء بعدم الولاء والجبن والخيانة، وتثار على هذا النحو قضية أنه لم يكن هناك أى مبرر لسفك كل هذه الدماء التى سالت على مدى سنوات طوال خلال الصراع العربى – الإسرائيلى.

إن المرض المتمثل فى وضع خطوط حمراء، وافتقار المقدرة على استخلاص الدروس المستفادة، نابع من عدة عوامل، أولها التهرب من إمعان النظر والفكر الصادق بالإشكاليات السياسية الرئيسية، هذا بالرغم من حالة الاهتمام المفرط بالقضايا الخارجية والأمنية. وعلاوة على هذا فإن إسرائيل تنزع دائماً إلى رسم سياساتها على المدى القصير، والتهرب من تحديد الأهداف بعيدة المدى، وتتجلى مظاهر هذه النزعة وعلى نحو واضح فى الميل التقليدى للتوصل إلى تسويات مرحلية.

ويتمثل العامل الثانى فى أننا نحدد أهدافنا ودواعينا القومية على ضوء مواقف الخصم، ومن ثم فكثيراً ما يسيطر علينا الإحساس بأن تقديم إسرائيل للتنازلات يخدم العرب فى المقام الأول، وأنه يلحق بالتالى الضرر بمصالح اليهود. وطالما أننا نحدد منطقنا السياسى والأمنى على ضوء مواقف العدو، فإننا سنتمسك بالتالى بالخطوط الحمراء، وسنصبح ضحاياها، والنتيجة بالتالى أن سياستنا ستصبح سياسة قصيرة النظر، وستجعلنا ضحايا لهذه الأهداف التى سنتنازل عنها بنفس السهولة التى قمنا بإقرارها.

وعلاوة على هذا فإن الدبلوماسية الإسرائيلية تتسم بحرصها الدائم على عدم الإقدام على أى قرار سياسى شجاع، كما أنها أدمنت اتباع نهج الحد الأدنى من التغييرات الشكلية، فالاتفاقيات التى تم التوصل إليها مع منظمة التحرير الفلسطينية لم تكن وليدة أية مبادرة سياسة شجاعة بقدر ما كانت مبادرة من قبل المفكرين والأكاديميين.

إن الدبلوماسية الإسرائيلية تعد نقيضاً للاستراتيجية، كما أن روح الشجاعة والإبداع التى يتسم بها المشتغلون، فى مجال الأمن، تتناقض مع فكر المشتغلين بالسياسة. وكثيراً ما تجلت مظاهر هذا التناقض، فبينما اتسم الأداء الأمنى لعدد كبير من القادة العسكريين مثل موشى ديان، وإيجال آلون، وإسحق رابين، واريال شارون، وعزرا وايزمان بروح الإبداع، إلا أنهم قد تحولوا إلى محافظين عند دخولهم عالم السياسة. وفى حقيقة الأمر فمن الواجب ألا يفوتنا فى هذا المجال تذكر أن الطرف الآخر هو الذى بادر دائما بالتوصل إلى تسوية للنزاع العربى – الإسرائيلى، كما أن بعض الجهات غير الرسمية فى إسرائيل كان لها دور فى تسوية النزاع.

إن استخرج الدروس المستفادة من تلك الحالة المرضية المتمثلة فى وضع الخطوط الحمراء، من شأنه مساعدتنا فى الحيلولة دون نشوب الحرب القادمة. وتتمثل القضية الرئيسية المطروحة حالياً فى: هل من الأفضل التوصل إلى السلام والتسويات الأمنية دون الجولان؟ أم أنه من الأفضل الاحتفاظ بالجولان وخوض الحرب؟ إن هذه القضية تعد بمثابة القضية الوحيدة المطروحة على بساط المفاوضات مع سوريا، وليس هناك أية قضية أخرى، ولقد أدرك كل من رابين وبيريز هذه القضية بعد أربع سنوات من المفاوضات، كما أن حكومة نتنياهو ستدرك هذه الحقيقة إن لم تكن قد أدركتها حتى الآن.

وإذا أسفر هذا الاختيار عن تفضيل مبدأ الاحتفاظ بالجولان على مبدأ السعى نحو السلام، فعلينا أن نكون مستعدين للقتال من أجل هذا المبدأ شريطة ألا نتنازل عنه عقب الحرب، وبغض النظر عن الثمن، لكن إذا كنا غير مستعدين للموت من أجل هذا المبدأ، وإذا كان بوسعنا تحقيق الأمن دون هضبة الجولان، فلزام

علينا أن نظهر للأسد الحد الأقصى من الاستراتيجية الدبلوماسية، شريطة أن تكون على غرار تلك الاستراتيجية التى اتبعها السادات تجاهنا، وعلى غرار تلك التى اتبعها رابين قبل مقتله. ويعنى هذا الأمر أنه يتعين علينا أن نعرض عليه استرداد كل هضبة الجولان وأن يستجيب فى الحين ذاته لكل مطالبنا المتعلقة بالتسويات الآمنة والتطبيع. وإذا كان الأسد لا يعلم طبيعة هذا الموقف، فمن الضرورى أن نوضح له هذا الأمر، وإذا وافق على هذه الصفقة فإننا سنتنازل عن الخطوط الحمراء الواهية. أما إذا رفض الصفقة ونشبت الحرب فسيكون هناك إجماع على حتمية هذه الحرب، وسيصبح بوسعنا تبريرها أمام أنفسنا أولاً وأمام كل العالم ثانياً.

إن الاستمرار فى اتباع الحد الأدنى من السياسة والدعوة إلى إعادة المفاوضات إلى نقطة الصفر من خلال بعض المناورات التكتيكية، سيجرنا – على خلاف رغبتنا – إلى الحرب التى لا طائل منها. إن الخيار الحقيقى لا يتعلق بماهية التكتيك الواجب اتباعه فى المفاوضات، وإنما يتمثل فى ماهية التنازلات التى يمكن تقديمها، وفى المقابل الذى سنحصل عليه.

وفيما يتعلق بالمفاوضات مع الفلسطينيين، فمن الواجب أن يتم تحليل الوضع. وإذا كانت المصلحة القومية تتطلب السيطرة السياسية العسكرية على الفلسطينيين والاكتفاء بمنحهم حكماً ذاتياً إدارياً، فلنوضح هذا الأمر لشعب إسرائيل وللفلسطينيين، وألا نحاول جذب المفاوضات الخاصة بالتسوية النهائية حتى شهر مايو من عام ١٩٩٩. وفى المقابل يتعين علينا الاستعداد لتحمل أعمال العنف التى ستستأنف فى الأراضى. وسيكون من الوهم أن تتصور الحكومة أن الفلسطينيين سيقفون مكتوفى الأيدى إذا اتضح لهم أن مسيرة أوسلو لن تؤدى إلى إقامة دولة فلسطينية.

وفى المقابل فمن الواجب أن نفكر فى استخدام الحد الأقصى من الدبلوماسية فى حالة ما إذا كان من الممكن تقديم بعض التنازلات للفلسطينيين، وفى حالة ما إذا كان مبدأ معارضة إقامة دولة فلسطينية لا ينطوى تحت مظلة الخطوط الحمراء. ويجب ألا يفوتنا أن تسويات أوسلو، والواقع السائد فى المنطقة،

قد خلقت دولة فلسطينية حقيقية، بل ويجب معرفة أن الاتصالات التى تجريها السلطة الفلسطينية مع سائر الدول تشير إلى أن للسلطة الفلسطينية سياسة خارجية. وإذا كانت غالبية الشعب وغالبية أعضاء الحكومة كما يبدو غير مستعدة للرجوع إلى عهد ما قبل أوسلو، فمن الواجب أن نركز على ما نبتغى تحقيقه فى التسوية النهائية بدلا من التركيز على الأمور التى لسنا على استعداد لتقديمها للطرف الآخر.

وتنحصر الخلافات السائدة فى أوساط الشعب على التعريفات العملية لمفاهيم عملية السلام والأمن، وحقا فقد حان الوقت الذى يتعين علينا فيه تقويم الحد الأدنى من الدواعى فى ظل وجود اتفاقيات سلام مع سوريا والفلسطينيين. ولن يخدم هذا الأمر مصالح خصومنا إلا إذا كنا معنيين بالدخول فى تحد على نحو شبيه بالطريقة التى يتحدد بها سعر البضائع فى البازارات. أما إذا دخلنا المفاوضات على النحو الذى يوجد به سعر ثابت لكل منتج فى كبار المحال، فلن يتمكن أى طرف عن طريق المزايدة من جنى أية ميزة، وإذا تم تقويم الأمر على هذا النحو من أجل تحديد الخطوط التى من الواجب بالفعل ألا نتنازل عنها، ومن أجل التعرف على المطالب الحقيقية للطرف الآخر، فلن يكون من الضرورى آنذاك أن نتعرض للقتل. وإذا كانت هناك ضرورة حقيقية للقتال من أجل المبادئ الأساسية، أى كما فعلنا كثيراً فى الماضى، فستكون هذه الحرب حربا صادقة لن يفر منها أحد[1].

دعوة مع الفجر

لقد انضم الملك حسين لقائمة المصابين بخيبة الأمل، والذين يخرجون مبهورين من اللقاء الأول مع نتنياهو.

لقد أصبحت ظاهرة ثابتة الآن، كل من يصل لمقابلة أولى مع رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو، يخرج فى نهاية الحديث مسحوراً ومقتنعاً. فنتنياهو يعرف كيف ينظر

(١) زئيف ماعوز ـ هاآرتس — ١٥ نوفمبر ١٩٩٦ ـ مختارات إسرائيلية — المصدر السابق نفسه.

إلى جليسه فى الحوار، وكيف يبتسم، ويتحدث بلسان معسول، ويعبر عن الود الدافئ، ويعرف كيف يأسر ضيفه أو مضيفه بسحره المعقد.

لقد حدث ذلك كما تتذكرون، لرئيس مصر عند لقائهما الأول بالقاهرة قبل عدة أشهر. بعد اللقاء دهش الجميع كيف نجح نتنياهو خلال وقت قصير فى تهدئة المخاوف التى ساورت مبارك منذ الانتخابات فى إسرائيل، وحقيقة .. إن سحر نتنياهو انتقل فى اللقاء نفسه وقد حدث ذلك أيضا للجار بالشرق. لقد تخوف الملك حسين أيضاً من انتقال الحكم ولكن نتنياهو نجح فى تهدئته. كيف فعل ذلك الحسين؟

لقد صرح الملك الأردنى فى حوار مع جريدة "جوريش كرونيكل" بلندن فى الأسبوع الماضى: "تلقيت وعوداً من رئيس حكومة إسرائيل بأنه سيفاجئنى قريباً". ولكن بعد أن يزول التفاعل الأولى، يبدأ الواقع فى التغلغل. إن قائمة الشخصيات التى وقعت فى شبكة نتنياهو فى اللقاء الأول آخذة فى الزيادة.

وعن الإحباط وخيبة الأمل المصرية كتب وقيل الكثير. وكذلك الحال عن خيبة الأمل الفلسطينية، بعد أن ضغط نتنياهو بحرارة على يد عرفات فى البيت الأبيض ووعده بالصداقة والمشاركة، وكذلك الحال عند حسين، مثل الجميع، تلاشى السحر. لقد قال الملك فى الحوار ذاته مع الجريدة: "إننى مازلت أنتظر الوعود"، وقال رئيس وزراءه عبد الكريم كباريتى فى لقاء مع مراسل "معاريف" عوديد جرانوت: "لقد رغبنا فى تصديق نتنياهو. لقد منحناه كل الفرص الممكنة.. والأمر هو أنك تسمع أموراً إيجابية، لكن الأفعال على أرض الواقع تتحول لأمور سلبية".

وعود.. وعود.. ليس فقط ملوك ورؤساء هم الذين يقعون فى سحر رئيس الحكومة المقنع. وقبل عدة أسابيع حضر لمكتبه رؤساء المستوطنين بالضفة الغربية وغزة. وعندما خرجوا من المكتب كانوا راضين ورووا للمراسلين أن رئيس الحكومة وعد بأن يعمل شخصياً لإزالة الجمود ولتجديد البناء فى المناطق. وبعد ذلك تقريباً حضروا للتظاهر أمام المكتب نفسه، عندما اتضح لهم أن قليلاً جداً – إن

لم يكن منعدماً – ما يحدث على أرض الواقع. وقبل حوالى أسبوعين حضر إليه أيضاً رؤساء القطاع الزراعى. وقد خرجوا من عنده أيضاً مفعمين بالمتعة والسرور. وقد صرحوا للمراسلين بأن رئيس الحكومة أكد لهم أن مشكلة المياه عنده تمثل أهم المشكلات لإسرائيل، وأنه سيعمل شخصياً من أجل تأمين احتياجات المياه للمزارعين. وبعد قليل سوف يحضر الزراعيون لتحقيق الورقة التى حصلوا عليها، وسوف ينضمون مثل الملك حسين لطابور المنتظرين لمفاجآت رئيس الوزراء.

إنه يعد بإصرار بتقليص الميزانية، ليس ٥ مليارات شيكل، بل أكثر، وهو بالمناسبة الرجل الذى وعد بعدم زيادة الضرائب. إنه يعد بعدم تقليص ميزانية الدفاع، وفى الوقت نفسه أمر ببلورة استراتيجية أمنية جديدة.

لقد وعد ووعد ووعد، وأقنع محدثيه بأن كل شئ على ما يرام، ولكن فى نهاية الأمر ليس فقط مبارك وحسين هم من استيقظوا من الوعود ويطالبون بالأفعال. كذلك من داخل المجتمع بدأنا نسمع هذه الدعوة، وعلى ضوء ذلك الموقف، فإن نتنياهو هو المفترض أن يصبح تحقيقاً لأحلام الإعلام الإسرائيلى: وحتى أيام السلام لرابين وبيريز، كنا نستطيع الحلم بقيادة إسرائيلية تعرف ليس فقط القول "لا، لا ولا" بالصيغة الإسرائيلية للاءات العربية فى الخرطوم، الآن نتنياهو يقول مرة أخرى ومرات أخرى "نعم" ويقنع شركاءه فى الحوار بنواياه الطيبة، ويوزع وعوداً بالمفاجآت، لكن مثلما قال رئيس وزراء الأردن، الأقوال الإيجابية تخلو فى الواقع لأمور أخرى.

وما يبقى هو أن يصف أحد رئيس وزرائنا كتاجر السيارات المستعملة الأمريكانى، الذى يداعب عملاءه بسحر لسانه، ويضفى عليهم الوعود ويبيع لهم بأسلوبه عالماً من الخيال الكامل. وفى اللحظة التى يترك فيها العملاء المسحورون الساحة يكتشفون – بصفة عامة – أن الابتسامة الساحرة تركتهم مع سيارة صدئة مضروبة. إن هذه الصورة هى صيغة تالفة من عالم السياسة الأمريكية، وبعد كل ذلك فنحن لا نتحدث هنا عن تسويق سيارات أو أثاثات، وكذلك ليس بشرح لسياسة أو خطب فى الجمعية العمومية للأمم المتحدة، لكننا بصدد الحديث عن

الرجل المفترض أن يحسم مصيرنا[1].

من جزيرة السلام إلى جزيرة معزولة

المذبحة التى وقعت فى "نهرايم" فجرت مشاعر الأسف والتعاطف فى العالم العربى.

وقرار البناء فى "هار حوما" سيؤدى لثورات عنيفة ولزيادة عزلة إسرائيل.

سيقول المتهكمون: إن ذلك يحدث لنا فقط عندما نتلقى ضربة قوية. حين يتسارع زعماء للاتصال بنا والإعراب عن مشاعر المشاركة في الحزن والتعاطف. فقط حينذاك يكون العالم بجانبنا. مثلما حدث بعد اغتيال رابين. ومثلما حدث بعد المذبحة الفظيعة فى "نهرايم". ومع كل ذلك. فمن أنصت للملك حسين فى مدريد، قبل أن يقطع رحلته ويعود للإشراف بنفسه على تحقيقات العملية، لم يكن يستطيع أن يجد لدى الملك كلمة واحدة تخرج من شفاهه في غير موضعها، وذلك فقط من أجل قيامه بواجب غير لطيف فرض عليه.

إننى لم أسمع على الإطلاق زعيماً يعلن على الملأ، أن من يقتل حياة الإسرائيليين كمن يحاول أن يقتله هو نفسه وأولاده. وفى حياتى لم أصادف زعيماً عربياً يصر على الحضور لإسرائيل من أجل القيام بواجب العزاء الشخصى لأسر الضحايا. صحيح أن هذا يدل على شخصية الملك حسين، لكن ذلك يشير أيضاً إلى طبيعة العلاقة الإسرائيلية – الأردنية. إننى أصدق الملك حين قال فى مدريد: "إنه سيتمسك بالسلام طالما روحه فيه (ظل حيا)".

وقد كان هناك أيضاً بعض المظاهر التى تفرح القلب. فإلى جانب مبارك وعرفات، اللذين اتصلا بنتنياهو، كانت هناك كذلك جماعة "عرب كوبنهاجن" التى أسرعت بالاتصال بـ "ديفيد كيمحي" وإعلان بيان تنديد وحزن. "عرب كوبنهاجن"

---

(١) رافى مان ـ معاريف (الملحق السياسى) ـ ٣ ديسمبر ١٩٩٦ ـ مختارات إسرائيلية – المصدر السابق نفسه.

هم جماعة من المثقفين العرب – مصريين وأردنيين وفلسطينيين بمن فيهم رجال حماس وجبهة الرفض – الذى قرروا فى يناير أن السلام أهم من أن نتركه فقط فى أيدى الحكومات. لقد أقاموا سويا مع جماعة من الإسرائيليين "حلفاً دوليا" فى كوبنهاجن، والآن هم يحاولون ربط هدف الفكرة بشخصيات مرموقة من كل العالم، وهناك من رؤساء هذه الجماعة السيد لطفى الخولى الكاتب والصحفى المصرى المعروف، الذى كان قد عارض مبادرة السلام للسادات، والآن انضم لكميحى ورفاقه، ولقائد سلاح الطيران الأردنى السابق إحسان شردم ولشخصيات أخرى قررت القيام بهذا العمل.

وفى الأسبوع الماضى طرد لطفى الخولى من صفوف الحزب الذى أسسه هو بنفسه فى القاهرة، وذلك بسبب تجرؤه على الاعتراض على مقاطعة المثقفين العرب لإسرائيل . فالبرقية التى أرسلها لكميحى للتعبير عن الأسف على حادث الاغتيال فى "نهرايم"، لن تحسن من موقفه. وهذا الأسبوع يزداد موقفه سوءاً فى مصر أكثر وأكثر مع دخول البلدوزرات إلى "هار حوما". وسيسوء أيضاً الموقف الداخلى للملك حسين الذى يواجه حالياً فى الداخل معارضة ذات صوت عال تطالب بقطع العلاقات مع إسرائيل بسبب البناء فى القدس.

إن قرار الحكومة يوم الجمعة بالبدء فى أعمال البناء فى "هار حوما" لا يمثل فقط سداً للمنافذ فى وجه الفلسطينيين والأردنيين والمصريين، وفى وجه الملك حسين شخصياً والمثقفين العرب الذين يتجرءون للحديث معنا، بل إنها تمثل أيضاً تجاهلاً لتحذيرات رؤساء أفرع المخابرات الإسرائيلية أمام ما هو منتظر حدوثه. فعلى أسوأ الفروض ستحدث ثورات ويحدث غليان فى المناطق. وعلى الفرض الأقل سوءاً، زيادة عزلة إسرائيل عن العالم، بما فى ذلك طرد السفراء من الدول العربية. وفى الواقع، عودة للوراء إلى الوضع الذى كان قبل الخروج من الخليل.

إن من حق الحكومة الكامل أن تقرر البناء فى "هار حوما"، وأيضاً ضد نصائح مستشاريها الأمنيين. لكن يمكننا فقط التفكير فى مدى إدراك الأمور وبالذات فى التوقيت. إن التوقيت الحالى يركب فيه عرفات موجة تعاطف فى العالم

ويستدعى لغزة كل ممثلى الدول التى أيدت اتفاقية أوسلو من أجل الضغط على إسرائيل، وحتى الأمريكان ظهروا. إسرائيل فقط ظلت بالخارج.

عندما شرح دافيد ليفى فى الأسبوع الماضى لأبو مازن، أن الحكومة ليست فى حاجة للحوار أو التشاور مع الفلسطينيين قبل تنفيذ المرحلة الأولى من البناء فى "ها حوما"، أجابه نائب عرفات بلغة مختصرة: إنه فى كل مرة تكون فيها المظاهرات على وشك الاندلاع والانفجار فى المناطق، أنتم تتسابقون نحونا وتقولون لنا: هيا نتحدث. لكن عندما نرغب نحن فى الحديث ترفضون وتملون علينا بشكل فردى من طرف واحد شروطاً من أعلى بدون التشاور.

ما حدث فى "هار حوما" وكذلك أيضاً فى المرحلة الأولى للانسحاب من الخليل.. على الأقل قرروا ماذا تريدون أن يحدث؟ وعلى ما يبدو أن حكومة إسرائيل قد قررت بالفعل[1].

إلى الكارثة للأمام در

بتأييد عديمى الشخصية المحيطين به، قرر نتنياهو أن يقذف الدولة من أجل أن ينقذ حكومته.

عن جرائم نتنياهو الثلاث بل وعن الأربع لن أغفر له:

- على سفك الدماء الفظيع والمتوقع الآن، والذى سيجلب التشكل والأحزان للأمهات والآباء من أبناء الشعبين.
- على تجديد واستئناف النزاع التراجيدى، القائم من مائة عام، والذى كان على مقربة من أن يتحول لتصالح تاريخى.
- على حرق الجسور التى بدأت تبنى بين إسرائيل والشعب العربى كله.
- وعلى تحويل إسرائيل إلى بعبع فى نظر العالم، منعزلة تماماً فى مجتمع الأمم،

(١) عوديد جرانوت ـ معاريف – ١٦ مارس ١٩٩٧ ـ مختارات إسرائيلية – المصدر السابق نفسه.

مكروهة ومحتقرة فى أعين البشرية الحضارية.

وكل ذلك من أجل ماذا؟

سوف يقال بالفظاظة المطلوبة في هذه اللحظة: إن ذلك من أجل المصلحة الشخصية لشخص واحد فقط، جاهل بالشئون العربية، شخص عنيف ومغرور، مريض بالتركيز على ذاته، وكثيراً ما يتحدث عن نفسه، والذى تنحصر كل مخاوفه في خشية سقوط حكومته. إنه وشركاءه مجرمون.

إن كل جماعة السياسيين الصغار والمحتقرين، الذين يطوفون حول مائدة الحكومة، والذين تجاهلوا تحذيرات خبراء الأمن، والذين أيقن بعضهم جيداً ما سيحدث مستقبلاً، والذين لم يجرؤ منهم أحد على القيام والاعتراض، والصراخ والإدلاء بصوته ضد ما يحدث. إن كل واحد منهم مسئول. وكل قطرة دم سوف تسفك ستكون فى أعناقهم.

– كل الأحزاب فى هذا الائتلاف الأعوج – الليكود، شاس، المفدال، أجودات إسرائيل، علم التوراة، إسرائيل بعالياه، الطريق الثالث – والذى قام كل واحد منهم بعمل حساباته الصغيرة.. ماذا يمكن أن يكسب من وراء الكارثة القادمة، من ملايين الدولارات للمقاولين، لتأييد الحاخامات، إلى أصوات المتوطنين، بل وشعبية فى أوساط اليمين المتطرف.

– رؤساء الأجهزة الأمنية، الذين خرجوا من واقع المسئولية والذين أوضحوا وحذروا، ولكن لم تكن لديهم الشجاعة الكافية لأن يقوموا بالاستقالة كما كان يجب عليهم.

وحزب العمل الذى يشتاق إلى "حكومة وحدة وطنية"، والذى وافق – مبدئياً – على البناء على جبل "أبو غنيم" (هار حوما)، والذى تمتم وتردد للتعبير عن "التوقيت السئ" بدلاً من القيام والإنذار والصراخ فى كل الدنيا.

– ويضاف لكل ذلك رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، الذى ينظر بعينيه نحو الأصوات اليهودية فى بلده، والذى يحافظ فى الواقع على الخطة بلغة رقيقة، لكنه فرض من اجلها حق الفيتو فى مجلس الأمن، والذى أرسل للبلاد إشارات

مرتبكة، وبذلك رسخ فى قلب نتنياهو وأصحابه الإيمان بأن ذلك الأمر "سوف يمر بهدوء".

عندما سيأتى المؤرخ ويبحث هذه القضية، لكى يكتب إنتاجاً جديداً بصيغة "عرض البلاهة" سوف يقف مذهولاً ومندهشاً أمام هذه المسرحية من الانغلاق والعنجهية، الجهل والبطش، واحتقار الآخرين والاستهزاء بهم، والذى دفع إسرائيل إلى هذه الكارثة. تلك الكارثة التى كان يستطيع كل عاقل عيناه فى رأسه أن يقرأ ويتوقع نتائجها.

وسوف يقال إن الأمر بشكل أكثر حدة: لا توجد أية مصلحة قومية من أى نوع كانت، وطبقاً لأية أيديولوجية من الممكن أن تعطى مصداقية لهذه الخطوة، وأيضاً لم يكن كبير فرسان أرض إسرائيل الكبرى ولا أكبر مؤيدى القدس لهما أية مصلحة أو اهتمام بسفك الدماء المتوقع، والتى ستجلب بالضرورة تدخل العالم كله، وستؤدى إلى تقسيم القدس وتقسيم البلد، ولكن بروح من الكراهية والاشمئزاز المتبادل، بدون سلام، وبدون مصالحة. إن المصلحة الوحيدة التى أملت اتخاذ هذا القرار هى مصلحة هذا الشخص.

هذا الشخص تتلخص كل كفاءته فى احتلال حزب لا حول له ولا قوة، واحتلال السلطة فى دولة تائهة، باسم شعارات كاذبة "لسلام آمن"، وبمساعدة الملايين لآلهة رءوس الأموال اليهود الذين يقيمون آمنين فى أماكن بعيدة، ومستعدون للحرب لعظمة الدولة والله حتى الجندى الإسرائيلى الأخير.

هذا الشخص صاحب الأيديولوجية المتخلفة، والذى يؤمن بأنه من الممكن خداع العالم كله طوال الوقت، وأنه من الممكن حل كل المشكلات بحلو الكلام، وأنه يمكن أن يقول لأى إنسان ما يرغب فى سماعه ولكن يفعل عكس ذلك.

هذا الشخص، الذى وجد نفسه مسجوناً فى مصيدة نفسه، فى حين أن أمامه الخيار الواضح المعنى الذى لا يحتمل الشك، والذى لم يكن محتملاً الخروج منه بكلمات لطيفة: إنقاذ حكومته أو إنقاذ الدولة وقد اختار ما اختار.

سوف يسجل التاريخ ذلك كوصمة عار أبدية[1].

ليال داخل خيمة فى رأس العامود

فتحت عينى فى منتصف الليل. كان من الصعب على أن أخلد للنوم فى الخيمة الصغيرة التى أقمنا داخلها، كنا أربعة، مضغوطين مثل السردين فى العلبة، الظلام دامس، ومن وراء فتحة الخيمة بدا مشهد ساحر مضاء بنور ذهبى.

مصباح الشرطى، قوى الإشعاع، الذى وضع على سطح المستوطنة بقربنا، أضاء جانباً من الشجرة التى كانت تنتصب قرب الخيمة. رسم مكتمل، لدرجة أنه كان بالإمكان أن ننسى ولو للحظة هدف وجودنا هنا: صراع مصيرى سيحدد مستقبل هذا الجيل، والأجيال القادمة فى هذه البلاد.

فى الأيام والليالى التى أقمت فيها على الأرض المتنازع عليها فى "رأس العامود" تحدثت مع مئات الفلسطينيين من كل الأصناف: رجال ونساء أبناء كل الأجيال، مثقفين وعامة وتجار وعمال، متدينين وغير متدينين، أنصار عرفات ومعارضيه، وكانت ثمة رسالة واحدة نطق بها الجميع دون استثناء: ننتظر ماذا؟ ننتظر انفجار العنف الذى سيغرقنا جميعا فى بحر من الدماء.

سألت كل واحد منا: لماذا لم تأت للمظاهرات عشرات الألوف من الفلسطينيين، بدل المئات الذين وجدوا فى المكان؟ لماذا لم يقم الآلاف بتطويق البيت فى النهار والليل كاحتجاج صامت وقوى؟ كان الجواب بسيطاً وواحداً: الجماهير كفت عن الإيمان بقوة مفعول الاحتجاج الهادئ. لقد كفوا عن الإيمان بالمسيرة السلمية. كفوا عن الإيمان بالرأى العام العالمى. كفوا عن الإيمان بالدبلوماسية، بأوربا، بالدول العربية، وخاصة بالولايات المتحدة. وكانت زيارة مادلين أولبرايت التى كررت شعارات نتنياهو الانتخابية المسمار الأخير فى نعش هذا الإيمان.

---

(١) يورى افنيرى ـ معاريف – ١٧ مارس ١٩٩٧ ـ مختارات إسرائيلية – المصدر السابق نفسه.

ماذا بقى؟ العنف.. القوة الفظة، الإسرائيليون، هذا ما قاله الجميع، يفهمون فقط لغة القوة. شخص ما يشعل الفتيل، وتشتعل الأرض كلها. من هو؟ لا أحد يعرف. غير مهم، لا يحتاج الأمر إلى منظمة.. يكفى شاب واحد "١٥ عاما" كي يقوم بحادث عفوى يؤدى إلى انفجار القنبلة الموقوتة. إن الانتفاضة التى أخرجت الإسرائيليين من غزة ومدن الضفة، اندلعت فى أعقاب حادثة طرق عفوية.

ماذا سيكون طابع الانفجار؟ الفلسطينيون يهزون أكتافهم علامة عدم المعرفة. الله فقط هو الذى يعرف. لن تكون هذه مخططة. ستتطور بحد ذاتها مثل الانتفاضة إياها. ربما حرب عصابات فى كل البلاد، مثلما تكهن رئيس هيئة الأركان: قنابل، عبوات جانبية، تبادل نيران بين جنود فلسطينيين (يدعون شرطة) وإسرائيليين. وربما انتفاضة مسلحة من نوع جديد وأكثر عنفا من سابقتها. ربما معركة مستمرة من العمليات الانتحارية، ربما كل ذلك معاً، بهذا الدمج أو غيره.

سيسقط الكثير من الضحايا، الآلاف، لكن هذا أفضل من الوضع الراهن، ليس فقط الإهانة الوطنية المتواصلة، بل الإهانة الشخصية غير المحتملة.

لقد اندلعت الانتفاضة فى حينه فجأة. و "فوجئ" رجال الأمن، رغم أننى وآخرين مثلى تنبأنا بقدومها قبل سنة. لم يحدث حينذاك أى شئ مفاجئ. حين يسد السد مجرى المياه، وحين يرتفع منسوب المياه تدريجياً ورويداً رويداً، من الممكن سلفاً معرفة اللحظة التى ينهار فيها السد ويدمر الطوفان كل شئ فى طريقة. هكذا الحال هذه المرة: الإغلاق، الطوق، التجويع، مصادرة الأراضى، المستوطنات الجديدة، التوسيع القائم، هدم البيوت، وقف أموال الفلسطينيين التى سرقت و "تسرق" من قبل السلطات الإسرائيلية، عدم تنفيذ الوعود بانسحاب كبير (النبضات)، النفق، جبل أبو غنيم، ورأس العامود. هل اجتزنا الخط الأحمر؟ هل سنصل إليه غداً؟ بعد غدا؟ بعد شهر؟ أين سيكون عرفات حين يحدث ذلك؟ عرفات لن يبادر إلى الانفجار. فى هذه الأثناء سيحاول كسب الوقت. إنه سيأتى وحده، مثل الانتفاضة. وحين يأتى، سيقف عرفات فى مقدمته.

كذلك نتنياهو يعرف ذلك. ومن الجائز الافتراض أنه يريد ذلك الانفجار

سيحرره نهائياً من ضرورة إعادة المناطق. العملية السلمية ستتوقف نهائياً ومن الممكن إلقاء التهمة على الفلسطينيين الأمريكيون سيقولون آمين، مثلما قالوا آمين بعد كل ما فعله نتنياهو حتى الآن.

الصوت صوت نتنياهو، واليد يد موسكوفيتش. وفقط الكلب الغبي هو الذي يعض العصا التي تضربه بدل أن يعض من يحمل العصا[1].

استطلاع ٤٣٪ من الإسرائيليين يعتقدون أن الوضع سيكون أسوأ

الجمهور الإسرائيلي يستقبل العام الجديد بصورة متشائمة. هذا ما يتضح من استطلاع أجرته شبكة "تلسكر" عشية رأس السنة، وبموجبه يعتقد ٤٣٪ من الإسرائيليين أن الوضع في العام العبري الجديد سيكون أسوأ بكثير، في حين أن ٣٠٪ يعتقدون أن العام الجديد سيكون أفضل بكثير و ٢٠٪ يعتقدون أنه لن يطرأ تغيير.

ومقارنة باستطلاع مماثل جرى عشية رأس السنة الماضية يتضح أنه طرأ تدهور سئ في الوضع القومي. وجرى الاستطلاع وسط ٥٠٠ شخص من جيل ١٨ وما فوق.

والمجال الوحيد الذي أعرب فيه المستطلعون عن تفاؤلهم أكثر من السنة الماضية، كان مجال الحياة الشخصية: ٣٩٪ من المستطلعين يتوقعون مستوى حياة شخصية أفضل في العام القادم، و٢٩٪ فقط من المستطلعين قبل سنة توقعوا مستوى حياة عالية جداً، ١٢,٣٪ من المستطلعين رأوا أن وضعهم سيسوء.

وفي استطلاع آخر أجراه "المعهد الفلسطيني للأبحاث" في نابلس، أعرب معظم الجمهور الفلسطيني عن تأييده للعملية السلمية، لكن طرأ ارتفاع ملحوظ في

(١) يوري افنيري - معاريف - ٢٢ سبتمبر ١٩٩٧ - ترجمة المصدر.

تأييد العمليات الانتحارية لحماس، حيث أعرب ٣٦٪ عن تأييدهم للعمليات بينما عارضها ٥٦٪ [١].

المسئولية تقع على عاتق رئيس الحكومة

قضية اغتيال رجل "حماس" في عمان تعتبر ضرراً استراتيجياً خطيراً، وإحدى أهم العمليات الميدانية الفاشلة التي نفذها جهاز المخابرات الإسرائيلي. هذا هو تلخيص الموقف من قضية الاغتيال الفاشلة، ولا يمكن أن يمر هذا الفشل، وضيق الرؤية الاستراتيجية المرتبطة به مرور الكرام دون تحمل المسئولية وطرد أو استقالة المسئولين، وفي الدول السليمة والمتقدمة يستقيلون بسبب ذلك، رؤساء حكومات ووزراء، وليس فقط قادة استخبارات. والأضرار التي لحقت بعدة مجالات:

– ضرر في العلاقات مع الأردن والملك حسين: هذا هو الضرر الذي ينطوي على مغزى استراتيجي، في اختيار مكان الاغتيال، تم ارتكاب خطأ كبير، ومثل ذلك مثل القيام بعملية من هذا النوع في واشنطن.

– ضرر في مكافحة الإرهاب، هذا الفشل، سيحث بالتأكيد، النشاطات الإرهابية ضد إسرائيل، وسيثقل أكثر فأكثر على استعداد السلطة الفلسطينية للتعاون مع إسرائيل في حربها ضد إرهاب "حماس"، والضرر في مكافحة الإرهاب يعبر عن نفسه أيضاً بضرورة الإفراج عن سجناء "حماس" من السجن، وكان رئيس الحكومة قد قال للأمريكيين حول الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين قبل وقت، إن الإفراج عنه يتسبب في وقوع أضرار بالغة على أمن إسرائيل.

– المس بهيبة الموساد: الفشل الميداني يؤدي إلى زعزعة الموساد ومس بهيبته ومكانته، وعلم في الماضي أن رجل الموساد السابق افرايم هيلفي، أسهم جيداً في تطوير العلاقات بين إسرائيل والأردن وتحقيق السلام، والمس الخطير بسيادة الأردن

---

(١) معاريف ـ ٢٥ سبتمبر ١٩٩٧.

وتعويض مكانة الملك حسين إلى الخطر فى بلاده، كل ذلك سيؤدى – دون شك – إلى تراجع هذه العلاقات وإلى تدهور فى التعاون مع الموساد.

– ضرر ميدانى للموساد: لا يجب أن نتجاهل أيضاً الضرر الذى لحق بسبب ضرورة الكشف أمام الأردنيين وعبرهم أيضاً لأوساط أخرى، عن وسيلة فنية، السم القاتل، الذى استخدم فى عملية الاغتيال.

وحين تحدث سلسلة طويلة من الأعمال الفاشلة كهذه، يبحثون – بصورة عامة – عن كبش فداء، لا يستطيع رئيس الجهاز أن يبقى فى منصبه بعد فشل ذريع كهذا، ولكن المسئولية الكاملة عن الأضرار الكبيرة الناجمة عن هذا الفشل تقع على عاتق من صادق على العملية ومن دفع باتجاه تنفيذها، على رئيس الحكومة الذى تقع مسئوليته فى المجال الإستراتيجى.

كل تحقيق يجب أن يحدد أيضاً، ما إذا كان لرئيس الحكومة شركاء فى القرار من وسط الوزراء، ومن المألوف أن يكون الوزراء الآخرون فى صورة مثل هذا القرار، هل ثمة شركاء له فى القرار؟ الواضح أنه ليس كل أذرع الأمن الأخرى وقادتها مثل جهاز الاستخبارات العسكرية والشاباك، فى صورة الوضع، حيث أصيبت هذه الأجهزة بهول المفاجأة[1].

الفشل ليس "يانوم"

بعد أن انتخب نتنياهو لرئاسة الحكومة، أقسم أنه لن تحدث عنده أية عملية خطف، أو أية عملية اغتيال. لقد كان نتنياهو قلقاً من النتائج: حيث رد حزب الله وحماس على اغتيال قادتهما هو القيام بعمليات كبيرة. لقد اعتقد حينذاك أن الفائدة لا تساوى الثمن.

بعد ذلك غير نتنياهو رأيه. لقد رأى العملية فى شارع بن يهودا، وأراد

(١) زئيف شيف ـ هاآرتس – ٥ أكتوبر ١٩٩٧ ـ ترجمة المصدر.

فعل شيء. إن القرار الذى اتخذه (حسب مصادر أجنبيــة) فـى تصفيــة رئيس مكتـب حماس "خالد مشعل" فى عمان، كان بائساً. وكان خطأ فى كل النواحى: فى المكان، وفى الهدف، وفى التنفيذ، وفى النتائج.

القصة الكاملة لهذا الفشل التـاريخى لـن تسـرد إلا بعـد وقـت، لا يمكـن أن يقال كل شئ ولـو لأسـباب المسـئولية الوطنيـة. ولكـن مـن الممكـن تقديـر الضـرر. إه أكبر من عملية "ليلهامر"، ذلك لأن ليلهامر كانت فشلاً فــى التنفيـذ، لكـن قـرار المستوى السياسى كان معقولاً. إنها أكبر من قضية "بولارد" لأنه لا توجد هنا وسيلة لإبعاد رئيس الحكومة من الوحل.

دانى ياتوم هو رجل الموساد. وحســب مصـادر أجنبيـة، طـرح الخطـة علـى نتنياهو للمصادقة عليها. الفشل، لذلك، ليس بسبب ياتوم، ليس فقط ياتوم.

إنها ليست قضية "بار أون"، التى سارت على حدود الجناية والسياسـة. إن الاختبار الحقيقى لرؤساء الحكومات هو فى القرارات الخاصة مثل قضية مشعل. حين يبحث رئيس الحكومة بمثل هذه الخطة ويطلب منه البحث فــى الثمـن الممكـن دفعـه فيما لو فشلت العملية.

المخاطرة ليست ميدانية بل سياسية أصــلاً. إن اتفـاق السـلام المريـح جـداً، الذى وقعت عليه إسرائيل هو رهينة للعملية. استقرار النظـام فـى عمـان هـو رهينـة للعملية. مقابل ذلك، يقف رجل حماس، الذى تحول فجأة وبدون مقدمات إلى "رأس الحية". من أجل أن نحسم هذه المعضلة نحتاج إلى عقل سوى وذكى. التجربة توضـح فهم لقيود القوة، لم تكن هذه المواصفات هناك فى لحظة اتخاذ القرار.

عشرة أيام مرت منذ الحادث البائس فى شوارع عمان. فـى الأيـام العشـرة هذه نتنياهو كان رجلاً سعيداً. لقد منح مقابلة العيـد لكـل وسـائل الإعـلام وشـارك الجمهور بمشكلاته العائلية. لقد كان راضياً عن الوضع كما لو لم يحدث شئ.

لكن العيد انتهى. والواقع عـاد ليطـرق البـاب. سـيخرج نتنيـاهو مـن هـذه الأزمة. من المؤكد أنه سيخرج سالماً. ليست هذه القضية التى سـتخرجه مـن مكتـب رئيس الحكومة، لكن الضغـط الكبـير للإفـراج عـن كـل القتلـة الذيـن رفـض رابـين

الإفراج عنهم، مازال قائماً والعلاقات المتدهورة مع الملك حسين مازالت قائمة، وحماس مازالت هناك، وقدرة الردع أمام الإرهاب التى تضررت، مازالت هناك، وتدهور العلاقات مع كندا ما زال قائماً. لم يتبدد أى نبأ من هذه الأنباء السيئة فى أيام العيد الثلاثة. نتنياهو هو البشرى الطيبة الوحيدة التى ستبقى، مهما حدث(١).

ملعب الدمى لنتنياهو

لو كان ذلك يقتصر على ارتفاع البطالة.. فليكن، ولو كان ذلك يقتصر على فتح النفق قبل سنة.. فليكن، ولو كان ذلك يقتصر فقط على البناء فى جبل أبو غنيم.. فليكن، ولو كان ذلك يقتصر على تقليص ميزانية المعارف.. فليكن ذلك، ولو كان يقتصر على تغيير سلم الأولويات لصالح الأقوياء.. فليكن، ولو كان يقتصر على مسلسل الأحداث الذى أدى إلى مستوطنة رأس العامود.. فليكن، ولو اقتصر فقط على الفعلة المخزية الجديدة فى الأردن.. فليكن.

ولكن رئيس الحكومة لا يكتفى بفعلة واحدة، لقد تحول الشرق الأوسط وإسرائيل إلى ملعب دمى لنتنياهو، كل أسبوع يحاول القيام بفعلة جديدة، وإذا كان يحقق نجاحاً فإن ذلك بفضل رأس رئيس حكومته المتوقد ذكاء، لكن عندنا – ولأسفنا الشديد – لا شئ ينجح عند نتنياهو، فجأة شمعون بيريز – الذى يعتبر الرجل صاحب الحظ السئ – بدا وكأنه الرجل الأوفر حظاً فى العالم، لم يكن اليأس فى ذلك الحين سائداً، الاقتصاد كان ينمو، البطالة كانت فى انخفاض، كانت هناك مشكلات، ولكن لم تكن هناك قرارات مثيرة لليأس.

المسألة هنا ليست مسألة حظ، القضية هنا قضية سياسية، وعملية اتخاذ قرارات، من يرتكب أخطاء بحاجة إلى الكثير من الحظ، ولكن من يرتكب فقط الأخطاء لا يستطيع الاعتماد على الحظ فقط من أجل إنقاذنا وإنقاذ نفسه، ارتفاع

---

(١) ناحوم برنياع ـ يديعوت أحرونوت – ٥ أكتوبر ١٩٩٧ ـ ترجمة المصدر.

نسبة البطالة فى نهاية السنة يسير يداً بيد مع أحداث النفق فـى بداية السـنة، نفـس السياسة الهاوية، التى نقع بهـا جميعاً فـى ملعـب للدمـى، إنهـا السياسـة التـى أملـت العملية المخجلة فى الأردن. صحيح أن نتنياهو فعل كل ما فـى وسـعه مـن أجـل أن يثبت لنا أن هذه الأيام هى أيام مرعبة[1].

نصف تحقيق

لقد قيل الكثير هذا الأسبوع عن "الفعلة المخجلة" فى مصـر. إحـدى العـبر المهمة التى استخلصت حينذاك هى أنه يجب إجراء تحقيق إن تشكيل أطـر مثـل لجنـة فحص، لجنة تقصي، لجنة واحد، لجنة اثنين، لجة ثلاثـة، لا تحـل شـيئاً، القضيـة تـأخذ فقط فى التعقيد إلى درجة لا مناص معها من تشكيل لجنة تحقيق.

لقد قامت الحكومة أمس بخطوة واحدة مطلوبة، ووافقت على إجراء فحص جزئى للفشل فى عمــان، والآن كـل مـا يطلـب منهـا هـو اسـتكمال هـذه الخطـوة، وتسليم الموضوع للجنة تحقيق رسمية، من أجل ذلك أوجدوا قانون لجان التحقيق، إن كل بديل باسم "لجنة تقصى" التى أعلـن عنهـا أمـس سـتكون بـلا صلاحيـات وغـير معتمدة من ناحية قانونية وغير جدية.

من الممكن فقط أن نعجب كيف أن المستشار القضائى القـانونى للحكومـة اليكيم روبنشتاين ورئيس اللجنة الموعود يوسف شحنوبر، وهمـا شخصيتان جديتان، وافقا على هذه اللجنة.

لقد أدركا جيداً لماذا تهرب الحكومة من لجنـة التحقيـق: نتنيـاهو يخشـى أن يعين رئيس المحكمة العليا اهارون براك نفسه رئيساً للجنة، كفى نتنياهو براك واحد، فى الدولة السليمة يثمر الضغط الجماهيرى عن تغيير فى القرار، يسـتطيع اثنـان مـن أعضاء اللجنة التى عينت أمس – شحنوبر ورافى بيلد – أن يسهما بحكـم تجربتهمـا

(١) بن درور يمينى ـ معاريف – ٦ أكتوبر ١٩٩٧.

فى لجنة التحقيق التى ستقام.

والثالث، ناحوم ادمونى، عليه أن يقصى نفسه وبسرعة، لقد وافق ادمونى قبل ثلاثة أيام على إجراء مقابلات صحفية قال فيها إنه تلقى مادة سرية عن القضية وأعرب عن تأييده لهدف العملية، وتبنى بكل قلبه الخط الذى انتهجه رئيس الموساد. إن ناحوم ادمونى رجل عظيم فى إنجازاته، وخسارة، أنه يضع نفسه موضع الشك بأنه أرسل إلى اللجنة على نفس الخلفية التى أرسل فيها يوسى فينوسار إلى لجنة التحقيق بقضية خط رقم ٣٠٠.

حتى لو أن "الفحص" تحول إلى تحقيق حقيقى فإن المفتاح ليس لها، ثمة فى مسلسل الهزائم الأخيرة، التى بلغت ذروتها فى الأردن، رسالة أخرى وهى إشارة تحذير. إن الأسطورة عن قدرة إسرائيل التنفيذية ما زالت كبيرة، ولكن القدرة الحقيقية أقل منها بكثير، من الأفضل أن نفكر مرة تلو الأخرى قبل أن نقوم بعمل، ونعرض قدراتنا بأسوأ أحوالها، هذا هو الخوف الذى جعل إسحق شامير يمتنع عن القيام بعملية عسكرية ضد العراق فى فترة حرب الخليج، لقد كان شامير صادقاً كما هو واضح.

لا يجب على نتنياهو أن يخشى من الفحص: لا يقيلون فى البلاد رئيس حكومة بسبب المصادقة على خطة تصفية زعيم إرهابى عربى، حتى لو كان القرار غير ضرورى والعملية فشلت.

لكنه يجب أن يخشى من نفسه، إنه لا يتمتع بعد بالنضوج الكافى للاستفادة من العبرة، بدلا من أن يمتص الضربة فإنه يضلل ناخبيه بكلمات حماسية عن الحرب التى يخوضها ضد الإرهاب، وبنظرة أكثر نضوجاً كان يستطيع نتنياهو أن يدرك أن أسلوبه لا يوفر الحلول المناسبة، ليس كل من يشاهد جيداً فى التليفزيون يسهم فى مسئوليته الملقاة على عاتقه كرئيس حكومة، إنه يستطيع أن يتعلم من تجربة سلفه، إنهم لم يكونوا أغبياء مثلما أعتقد[1].

---

(١) ناحوم برنياع ـ يديعوت أحرونوت – ٧ أكتوبر ١٩٩٧ ـ ترجمة المصدر.

المحاولة المكشوفة

يوسى تشخنوبر، مدير عام وزارة الخارجية السابق، وناحوم ادمونى، رئيس الموساد السابق، رافى بيلد، المفتش العام للشرطة السابق، من خيرة الشخصيات الذين يحظون بالتقدير والاحترام من السياسيين فى كل القوس السياسى، فإسهامهم فى المجال الدبلوماسى والأمنى لإسرائيل لا شك فيه، ولو كان فى إسرائيل مجلس للأعيان – وخسارة أنه لا يوجد مجلس كهذا – لكان الأعضاء الثلاثة طبيعيين فيه.

ولهذا السبب بالذات كان ينبغى لهم أن يرفضوا رفضاً قاطعاً الفكرة التافهة للجنة التقصى بعضويتهم، فمشاركتهم فى الخطوة المتركزة فى "حادثة العمل" يتحولون تلقائياً إلى من يأتون لإنقاذ رئيس الوزراء، فالحادثة هى أساساً حدث مؤسف، ولكنه مقدر أيضاً عندما يكون هناك الكثير من العمل، ولن يكون تحديد مسئولية المترأس فى أيديهم.

إن قرار نتنياهو تشكيل لجنة تقصى دون أى صلاحيات أو أسنان، هو الرد الطبيعى لمن يوجد فى السلطة، ويعرف أنه مسئول عن خطأ جسيم، ويدرك أنه بدون أى فحص لا يمكن المرور مر الكرام عن الأمر، فيقرر المبادرة بنفسه إلى إقامة إطار لا يمكن له أن يمسه، فلا يجوز أبدا لأية جهة مسئولة تحترم نفسها أن تتعاون مع هذه المحاولة المكشوفة.

إن الكثيرين فى اليمين واليسار الإسرائيلى، يدركون أنه يقف على رأس هرم المسئولية اليوم شخص غير قادر على تحمل المسئولية، وهذا ليس مفاجئاً، فهو عديم التجربة الحقيقية وعديم الخطة الواضحة، وإذا كان هناك وزراء ذوو وزن فى حكومته، فقد غادروها لأنهم لا يريدون أن يغشوا أنفسهم.

ينبغى أن يقوم فى إسرائيل اليوم تحالف سوى لأشخاص يتفقون على أن ظاهرة نتنياهو كرئيس للوزراء لا يجب أن تستمر، لأن الثمن الذى يجلبه على إسرائيل عال جداً.

والأشخاص الثلاثة الذين يشكلون لجنة التقصى سيمنحون نتنياهو شرعية

لا داعي لها من مصدر غير متوقع، والمشكلة المركزية العاجلة والأليمة أمام إسرائيل هي كيف يمكن منع قرارات متسرعة وخاطئة وتعرض للخطر علاقاتنا مع الدول القريبة أو البعيدة، وتعرضنا كدولة غير متزنة، إن بوسع أعضاء اللجنة الثلاثة أن يسألوا من يبدى الاستعداد لإجابتهم فقط، وسيتوصلون إلى الاستنتاج بأنه ينبغي إعادة فحص عدة سبل للعمل واستبدال بضع أشخاص مسئولين مباشرة أو غير مباشرة عن هذا الخلل الخطير.

وبعد عدة أسابيع مؤتمر مغطى إعلامياً بطريقة جيدة يقدم خلاله أعضاء اللجنة استنتاجاتهم لبيبى نتنياهو، أما هو فبوقفة جدية ورزينة، سيشكرهم على عملهم المسئول والمخلص وسيعد بأخذ توصياتهم بعين الاعتبار، وسيبقى محصنا، وأحد ما سيدفع ثمن أخطائه.

إنى أعرف جيدا أعضاء اللجنة الثلاثة، وليس فقط من أجل مكانتهم في المجتمع الإسرائيلي، بل حرصاً على الديمقراطية الإسرائيلية ولا سيما تقليصاً لخطر كارثة أخرى، جراء الشرعية التي سيمنحونها لقبطاننا البائس، فإني اوجه إليهم نداء شخصي: لا تكونوا هناك، ولا تشاركوا في اللجنة، لا تذلوا أنفسكم عند رفع التقرير، وحذار أن تقوموا بدور الغبى في مسرحية كتبها نتنياهو على عجل، حذار أن تكونوا ورقة تين، فثلاثتكم جديرون بأكثر من ذلك بكثير[1].

مسئولية رئيس الحكومة

فى كل أزمة يكشف نتنياهو عن قدرة فائقة في الدعاية الإعلامية وخبرة عميقة في دفع مسئوليات فشله إلى الآخرين. ليس هناك خبير مثله في الضرب على صدر الآخر وليس فقط عشية عيد الغفران.

فى كل فشل وكل قصور، في كل قرار متسرع وكل عمل أخرق يقوم به

(١) يوسى بيلين ـ يديعوت احرونوت – ٩ أكتوبر ١٩٩٧ ـ ترجمة المصدر.

يتهم رابين وبيريز والإعلام واهود براك، وأحياناً يتهم الطاقم الكبير الذى يقوده: دان مريدور، اللواء شاحور، رئيس الشباك عامى ايلون، والآن رئيس الموساد دانى ياتوم.

إن موهبة الدعاية النادرة التى يتمتع بها لتنياهو تجلت أكثر فأكثر فى قضية مشعل على مستويين: على المستوى المبدئى نجح فى نقل الاهتمام الجماهيرى من مضمون قراره إلى الإجراء الذى اتخذ فيه هذا القرار. وعلى المستوى الشخصى نجح فى حرف النيران باتجاه رئيس الموساد من خلال إلقاء المهمة على المعارضة والإعلام، اللذين يلحقان – على حد تعبيره – الضرر، بالقول لا بالفعل، بمكافحة الإرهاب.

إن الانشغال فى مسألة الإجراء يحرف الاهتمام بالجوهر. لنفرض جدلا أن القرارات اتخذت بإجراءات سليمة: إذا ماذا؟ ليس بديلا عن الرأى السديد. يجب على رئيس الحكومة أن يفكر جيدا وإذا اتخذ قرارا يخرج عن الإطار المعقول فهو قرار خاطئ وهو الذى يتحمل المسئولية الشخصية لنتائج هذا القرار السلبية. ومعقولية القرار لا يعبر عنها فقط بالإجراء الذى اتخذ فيه القرار، بل تتعلق بالمعطيات المتوفرة قبل اتخاذ القرار والتفكير بكل عناصره والتمييز بين الجوهرى والهامشى، واستخدام التفكير الاستراتيجى وعدم الاكتفاء بتقديرات ميدانية تكتيكية.

يعتبر مشعل مخرباً لكنه ثمة شك كبير فيما إذا كان مقتله يعود بالفائدة على إسرائيل. ولو نجحت العملية فهل سينتهى الأمر؟ ألم تكن الأردن ستجرى تحقيقاً فى الأمر لمعرفة كيف قتل، فى مشادة وقعت فى الشارع، زعيم محاط بالحراسة المشددة؟ هل كان اغتيال مشعل سيقلص الإرهاب أو يوقف حماس والتحاريوها عن القيام بعمليات أخرى؟!

إن المعقولية تستدعى منا أيضاً تعلم تجارب الماضى. إن نجاح اغتيال المهندس لم يقلص عمليات حماس، بل أدى إلى زيادتها. حماس ليست منظمة رجل واحد، مثل منظمة الشقاقى، وبالتركيز لا يجب – بل لا يمكن – أن نشبه مكانة مشعل فى حماس بمكانة الشقاقى فى الجهاد الإسلامى.

من كان خيراً فى حالة سيكون سيئاً فى حالة أخرى. من أجل التمييز بين

الحالات المختلفة ثمة ضرورة للتفكير بعقل واتزان مثلما جاء في التلمود "إذا لم يكن هناك تفكير فمن أين نأتي بالفرق"؟

إذا لم يكن هناك تفكير فإن القرارات لن تكون معقولة والتنفيذ لن يكون حكيماً. حينها يتحول العزم إلى غباء والنتيجة الضارة تكون متوقعة سلفاً. ليس فقط الذكاء بعد العمل، وليس فقط لأن العملية فشلت بدت معزولة عن المعقولية، بل لأن المقرر لم يفكر جيداً بل انجرف خلف فكرة مغامرة. لماذا طلب مصادقة رئيس الحكومة بعظمته إذا لم يكن من أجل منح الخطط التنفيذية أبعاداً استراتيجية وأفكار سوية؟

هنا نصل إلى الزاوية الشخصية للقضية لا يهم أبداً من الذى بادر إلى العملية، يجب الافتراض أن المبادرة لم تأت من رئيس الحكومة بل من الموساد. إذن ماذا؟ هل رئيس الحكومة إمعة لرئيس الموساد؟ هل يوقع على أوراق بيضاء؟ هل يعطى رخصة قتل على غرار جيمس بوند؟

ثمة احتمال من احتمالين: إما أن يكون رئيس الحكومة قد درس اقتراح الموساد وصادق عليه وحينها تجاوز قراره إطار المعقولية وهو المسئول عن النتائج الضارة، أو أنه لم يدرس اقتراح رئيس الموساد كما يجب وانجرف وقرر على نحو متسرع، وحينها فإن المسئولية مضاعفة.

إن أى ادعاء بوجود فوضى فى أجهزة المخابرات لا يعفى رئيس الحكومة من مسئولية ما حدث هناك. منذ سنة ونصف سنة، وهو المسئول المباشر عن عمل هذه الأجهزة، يتابع النظام فيها ويعالج الفوضى. ومثلما قال مناحم بيجين لجولدا مائير فى أعقاب قصور حرب أكتوبر "إذا علمت فإن هذا خطيرا جداً، وإذا لم تعلمى فهذا أخطر بكثير[1]"!

(١) اريبه ناؤور - معاريف - ٩ أكتوبر ١٩٩٧ - ترجمة المصدر.

ربما غداً.. ربما بعد شهر

هدوء غريب يسود المناطق الفلسطينية والمناطق المحتلة، لكن هذا هو هدوء الموت، الهدوء الذى يسبق العاصفة الهوجاء، فى الأيام الأخيرة حققت وسألت، وها هى النتائج الميدانية:

– الكل ينتظر الانفجار، لا أحد يسأل "هل؟" الكل يسأل: "كيف؟" و "متى؟".

– فيحين أننا فى إسرائيل، ننظر – كالنائم مغناطيسياً – نحو حماس، ونتنياهو يتحدث إلى ما لا نهاية عن "القاعدة الإرهابية"، ينظرون فى المناطق إلى اتجاه آخر ليس باتجاه حماس، بل فاتجاه فتح، نعم فتح، الحركة التى أقيمت من قبل ياسر عرفات والتى حملت على عاتقها معظم أعباء الانتفاضة.

لقد اندمج كبار فتح في السلطة "وتمأسسوا"، ولكن وسط آلاف أعضاء فتح ثمة هيجان كبير، هؤلاء الذين قضوا سنوات طويلة فى السجون الإسرائيلية ويعرفون إسرائيل تماماً، وتحمسوا لأوسلو وايدوا بصورة مطلقة سياسة عرفات السلمية، لديهم جذور عميقة فى الميدان، إنهم يشعرون بالغضب المتراكم فى أوساط السكان فى أعقاب الإغلاق: البطالة، تدمير البيوت، مصادرة الأراضى المتواصلة فى كل أنحاء البلاد، توسيع المستوطنات، الانقطاع بين إسرائيل والضفة، الانقطاع بين الضفة الشرقية والشمالية، الانقطاع بين غزة والضفة، استمرار اعتقال الأسرى السياسيين، النفق، جبل أبو غنيم، رأس العامود، عدم تنفيذ الانسحابات (النبضات) الأولى والثانية، عدم وجود فرصة لتنفيذ النبضات الثالثة، وكل الاستفزازات الجديدة، لم يعد أحد منهم يؤمن باتفاقيات أوسلو من ناحيتهم، المسيرة السلمية ماتت، لا يؤمنون بالدول العربية، ولا يؤمنون بالمظاهرات الصامتة ولا يكلفون أنفسهم بالمشاركة بها، يقتنعون أن الإسرائيليين "يفهمون فقط لغة القوة".

– ليس هناك أى حاجز بين قوات الأمن التابعة للسلطة وبين فتح: جبريل

الرجوب ومحمد دجلان في القطاع هم رجال الميدان، رجال فتح، وثمة انسجام كامل بين الأمن الوقائى وفتح، وفي المكان الذى لا يستطيع الأمن الوقائى العمل فيه تعمل فتح.

– يوجد بيد الفلسطينيين في البلاد ما لا يقل عن ١٠٠ ألف قطعة سلاح، والتجارة بالسلاح تقريبا حرة، كل واحد يستطيع أن يشترى مسدسا بـ ٢٠٠٠ شيكل.

– المعركة القادمة هي حول القدس، هناك تتراكم المواد المتفجرة، خاصة الاستفزازات، هناك لا توجد مسئولية لياسر عرفات، في القدس أقيمت هيئة سرية موحدة "للقوى الوطنية الإسلامية" أى (فتح وحماس) شبيهة بقيادة الانتفاضة في حينه، وهذه الهيئة نشرت بياناً رقم ٤، مثلما كان الحال في أيام الانتفاضة.

– في إسرائيل لا يفهمون مكانة ياسر عرفات، الفلسطينيون يوجهون له الكثير من الانتقادات، ولكن أحداً لا يحلم باستبداله، إنه أبو الأمة، زعيم الكفاح الوطنى، الرفيق الذى يسيرون خلفه بالعنف والسلام، ليس له بديل، لا أحد يعرف ماذا سيحصل لو – لا سمح الله – مات أو قتل بيد الموساد.

الكثير من رجال فتح كانوا يريدون أن ينهض عرفات ويعود إلى تونس، من أجل أن يلوحوا لكل العالم أن اللعبة انتهت، وأنه يعود إلى تونس من أجل الإثبات لكل العالم، إن اللعبة انتهت والحرب ستستأنف، عرفات نفسه لا يميل إلى هذا الخط، من الممكن أن نجمل استراتيجيته بذلك "طالما نتنياهو في السلطة لن يحل السلام في السنوات الثلاث القادمة، سنكرس كل قوتنا لتطوير الدولة القادمة ونعزز وسنحافظ على ما حصلنا عليه حتى الآن، سنوحد قوانا ونخلق قاعدة صلبة للمراحل القادمة، لاستئناف المسيرة السلمية بعد نتنياهو"، لذلك منع عرفات الانتفاضة التى كانت ستندلع بعد جبل أبو غنيم ورأس العامود، لذلك استجاب لكلام مادلين أولبرايت، إنه مستعد للجوء إلى كل وسيلة من أجل تأجيل الكفاح.

– مثيرو الانتفاضة لن يطلبوا إذن من عرفات، إنهم سيبدأون الكفاح على عاتقهم وبقرار ذاتى منهم، إنهم واثقون من أنه عندما يأتى الانفجار سيقف عرفات

على رأس الانتفاضة، هكذا كان الأمر في بداية الانتفاضة، متى؟ أين؟ كيف؟ الفلسطينيون يهزون أكتافهم إشارة لعدم المعرفة، ربما غداً صباحاً، ربما بعد شهر، ربما بعد عدة أشهر، إن شاء الله(١).

رياح باردة في القاهرة

قضية اعتقال رجل الأعمال الإسرائيلي عزام عزام في مصر، طرحت مرة أخرى قضية العلاقات المعقدة بين إسرائيل ومصر مرة أخرى، ومعها أيضاً كل التساؤلات بصدد جوهر وماهية السلام بين الطرفين وإلى الجهة التي تتجه لها مصر.

ما من شك في أن العلاقات بين إسرائيل ومصر بعيدة عن أن تجسد وتحقق الآمال التي علقوها عليها في إسرائيل منذ أن قدم السادات إلى القدس وألقى بخطابه في الكنيست في عام ١٩٧٧. وهناك مكان بالتأكيد للخوف من أن تنهار هذه العلاقات، لكن هناك في الوقت نفسه معطيات سمحت في نهاية المطاف بالتعاش العلاقات المزعزعة بين الطرفين.

السياسة الخارجية المصرية تتقرر أكثر مما هو الحال في دول كثيرة وفقاً للاحتياجات والمصالح الداخلية، وعليه فإن كنا نريد أن نعلم إلى أين تسير مصر علينا في الأساس أن نتمعن في مصاعبها الداخلية، أولاً في السياسة الداخلية المصرية يمكن أن نلاحظ وجود خطين أساسيين، الأول هو اضطرار صعب، والثاني طوعي واختياري.

الأمر الاضطراري الصعب الذي تواجهه مصر هو بالطبع تلك المجابهة الحادة مع الجماعات الإسلامية المنافسة المسلحة، أما الخط الثاني فيتميز بالتعاون مع البنك الدولي في سياسة حثيثة نحو الخصخصة للشركات الحكومية ومحاولة لجذب الاستثمارات الأجنبية لمصر.

---

(١) يوري الفيري - معاريف — ١٣ أكتوبر ١٩٩٧ - ترجمة المصدر.

هذان الخطان معاً يؤثران بدورهما على طبيعة العلاقات مع إسرائيل، مواجهة الإسلام المتطرف تجد تعبيراتها من خلال مميزين أساسيين: أولاً الحرب العسكرية المتواصلة والحازمة والناجحة جداً حتى الآن في الشرق الأوسط، أما المميز الثاني فيكمن في تبني أيديولوجية منافسة للأيديولوجية الإسلامية، وهي إعادة بعث فترة ازدهار الناصرية من أجل التغطية على عصور الخلفاء الإسلاميين التي تتباهى بها الأيديولوجية الإسلامية.

المشكلة في العلاقات مع إسرائيل نابعة من الأيديولوجية الناصرية لا تكمن فقط في التوجه العدائي الناصري التاريخي لمصر، وإنما في مضمون هذه الأيديولوجية التي تنصب مصر زعيمة للشرق الأوسط.

لشدة الأسف زادت عملية السلام من شعور مصر بخطر فقدان زعامتها أمام إسرائيل التي يعتبرها العرب دولة عظمى اقتصادياً وعسكرياً وذات مطامح للسيطرة، والتي تملك وضعاً أفضل للمنافسة على الزعامة في عهد السلام بسبب تفوقها الاقتصادي.

في إسرائيل ما بعد اتفاقيات أوسلو لم يدركوا هذه الحساسية الخاصة، وهذا حدث أيضاً بسبب الاعتبارات الداخلية بدرجة غير قليلة، فمن أجل تجسيد ثمار السلام أمام الناخب الإسرائيلي، انقضت إسرائيل على مؤتمر الدار البيضاء الاقتصادي بحماس إسرائيلي مميز، واحتلت أماكن الصدارة والاهتمام هناك، وقد كان من المفروض إبراز وجه عمرو موسى المصغر من أجل توقع الأمور السيئة التي ستتمخض عنها هذه الجلبة.

عندما دعا مبارك الدبلوماسي المخضرم عمرو موسى لأن يكون وزير خارجيته. لم يأخذ في اعتباره قدراته الدبلوماسية، بل إن ما لفت نظره هالته الناصرية، وهو لم يرتكب ذرة خطأ من هذه الناحية، فعمرو موسى مقبول جداً على المستوى الجماهيري، وتعيينه يساعد النظام في إبراز ولائه وإخلاصه الوطني في مواجهة الإسلاميين الذين يوجهون ضرباتهم للأسوار.

تصريحات شمعون بيريز في إطار الدار البيضاء بأن إسرائيل تسعى للانضمام

إلى الجامعة العربية أشعلت كل الأضواء الحمراء فى مصر. فالجامعة العربية فى بؤرة عين مصر والتغلغل الإسرائيلى لهذا المعقل ليس فقط غير وارد بالحسبان من الناحية الوطنية الأساسية لمصر، بل أيضاً من زاوية سيطرتها على الغضب الإسلامى الذى يمكن أن يندلع من جراء خطوة كهذه.

وربما بسبب هذه التصريحات تحديداً قررت مصر تركيز هجماتها المضادة على الجامعة العربية كوزن مقابل لنموذج المؤتمرات الإقليمية: أى بدلاً من إقامة سوق اقتصادية إقليمية يمكن أن تشارك بها إسرائيل، وتقوم إسرائيل أيضاً بطرح نموذج السوق العربية المشتركة، ذلك الإطار الاقتصادى الإقليمى الذى يخلو من إسرائيل.

المخاوف المصرية من التدخل الإسرائيلى الاقتصادى يمكن أن توضح سبب تورط رجال الأعمال الإسرائيليين - بمن فيهم عزام عزام - فى مشكلات صعبة مع السلطات المصرية.

تصريحات رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو فى طوكيو حول عدم وجود شرق أوسط جديد يمكن أن تفهم كتعبير عن امتعاضه من الجهود المصرية لإغلاق الطريق أمام إسرائيل فى كل دور اقتصادى إقليمى من أجل إبقاء مصر فى موقع الزعامة فى المنطقة التى لا تعتبر "جديدة" بل "عربية".

إذن تبدو الأمور سيئة، لكن ليس إلى حد القنوط واليأس، فتوجه مصر يسير نحو تحديث وعصرنة اقتصادها وانفتاحه باتجاه الغرب. وكلما تفوقت فى مصر الاعتبارات الاقتصادية على الاعتبارات الوطنية القومية، كلما تراجعت مواقف الناصريين الدوغمائيين أمام مواقف رجال الأعمال.

إضافة إلى ذلك كلما تزايد تأثير رجال الأعمال فى رسم السياسة، كلما اتضح أكثر فأكثر انعدام الجدوى فى السوق العربية المشتركة، فالدول العربية ذات هيكلية اقتصادية متماثلة، وهى لا تسمح بالتبادل التجارى بشكل ملموس فيما بينها، دخول إسرائيل بالتحديد للمنطقة هو الذى يمكن أن يحدث التغييرات الهيكلية الضرورية لدفع الوضع الاقتصادى للأمام.

من المهم أن نذكر أن الصراع بين كلا الاتجاهين ليس بيانياً بل معقداً جداً، ولن يكون من الدقة بمكان أن نقول هناك جناح تجارى إنتاجى براغماتى يقف فى مواجهة جناح سياسى دوغمائى فى مصر.

أولاً عمرو موسى نفسه ما زال بمثابة اللغز، فهو من ناحية يخدم الكفاح ضد الإسلام ثم خلال بث المفاهيم الناصرية داخل المجتمع المصرى، ولكنه أيد من خلف الكواليس عقد المؤتمر العربى – الإسرائيلى المهم المشترك فى كوبنهاجن قبل نصف سنة، والذى تمخض عن "تحالف الشرق الأوسط". لطفى الخولى كان قد مثل مصر فى ذلك المؤتمر، وكان قد هوجم بشدة مع عودته للقاهرة، إلا أنه لقى الإسناد من عمرو موسى، ثانياً الشخص الذى يدفع خطة الخصخصة بكل قوة هو مبارك نفسه، وكلما ازدادت مصاعبه فى الشرق الأوسط كلما غرق أكثر فى الشئون الاقتصادية، وهذا بمثابة تعبير اقتصادى للجدل السياسى الداخلى القديم فى مصر بين عروبتها والتمائها للعالم الإسلامى، وبين عودة التاريخ الفرعونى المصرى، أى علمانيتها.

النموذج الملموس لهذا التعقيد كان يمكن أن نراه من خلال مؤتمر القاهرة الإقليمى الاقتصادى فى العام الماضى.

عمرو موسى نجح فى وضع مصر فى مركز الحلبة، ودفع الاهتمام بإسرائيل إلى الهامش، إلا أنه بادر بنفسه بعد ذلك إلى عقد لقاءات بين أوساط شعبية ورجال أعمال إسرائيليين ومصريين، ويبدو من ذلك أن هذه الأوساط المصرية قد شخصت القوة الكامنة فى عقد صلات مع الأوساط الاقتصادية المصرية، وكلما ازداد وزن هؤلاء اتسع حجم نشاطهم الاقتصادى فى إسرائيل لدرجة الاستثمارات، فإنهم يصبحون عاملاً موازناً وفعالاً بل ورادعاً لتدهور العلاقات مع الجارة الغنية فى الشرق.

إضافة إلى هذه الأمور، وهناك أيضاً فى داخل الشبكة السياسية المصرية مؤيدون أقوياء للحفاظ على العلاقة مع إسرائيل وتعزيزها، ورجل الاقتصاد يوسف والى الذى كان (!!) وزيراً للزراعة، هو شخصية بارزة فى هذا المضمار، فقد عمل

من خلف الكواليس لتطوير العلاقات الزراعية، هذا الأمر لا يتعارض مع التوجه الناصرى للتزعم المصرى للمنطقة، إذ إن السوق العربية تطرح أمام مصر تحدياً من جانب طرف آخر على زعامتها وهى سوريا.

مصر التى يرفرف العلم الإسرائيلى فى عاصمتها، لا يمكن أن تنافس سوريا التى تحمل علم العروبة الأوضح، ومصر تحاول فى الواقع شد الحبل من طرفيه: إبعاد إسرائيل عن الصدارة من ناحية، واحتكار دور المشرف على الاتصالات الإسرائيلية مع العالم العربى.

وفى هذه الأيام تحديداً حيث يدور الحديث عن تجدد المفاوضات مع سوريا، تخشى مصر أن تسرق هذه الأخيرة منها الزعامة من خلال نقل المفاوضات من يد مبارك إلى يد الأسد، وهذه هى الخلفية الحقيقية للقمة الفزعة التى عقدها مبارك فى القاهرة مع السد وعرفات والملك حسين.

الاستعداد لزيارة أولبرايت لم يكن فى الواقع فى مواجهة إسرائيل، وإنما سوريا بالتحديد، إذ كان ذلك المؤتمر استعراض عضلات مصرى أمام الأسد، الذى إن قرر دخول إطار العلاقات مع إسرائيل لن يتمكن من القيام بذلك على حساب "السابقين".

فى هذه الأيام يدور صراع كبير حول عقد المؤتمر الاقتصادى الإقليمى فى الدوحة عاصمة قطر، مصر لم تقرر بعد ما الذى سيكون عليه موقفها.. رفض نشط وحازم على الطراز السورى أو المشاركة إلى جانب إسرائيل.

نحن نقدر أن مصر ستتخذ موقفاً وسطياً مع المشاركة، ولكن بشكل غير متحمس. وهذا أيضاً وضع العلاقات مع إسرائيل: سلام ولكن متحفظ.

نقطة الانعطاف قد تحدث إن اصبح رجال الأعمال المصريين ذوى تأثير سياسى يتناسب مع ما يستحقونه، وفى تلك النقطة قد تفتح أبواب السجن ويخرج عزام عزام منه إلى الحرية[١].

---

(١) بنحاس عنبرى ـ نكوداه — ١٣ أكتوبر ١٩٩٧ ـ ترجمة المصدر.

الفهرس



دار الهدى للنشر والتوزيع

٦ ش المجرى - شاهين - المنيا

ت ٣٤٦٧١٣ / ٠٨٦

رقم الإيداع ٩٧/١٤٢٥٦

الترقيم الدولي 8 - 06 - 5822 -977

ستار برس

للطباعة والنشر ☎ : ٥٦٣٧٥٥٢

الحرب القادمة

مثل هذا « الكتاب » لا يحتاج إلي مقدمة .. إنه ككل - مقدمة وخاتمة ، بداية ونهاية .. فصل أول وفصل أخير في وقت واحد .. إنه اقرب الي ان يكون صرخة أرجو الا تذهب دون اصداء في « البرية العربية » . لقد اردته جرس إنذار ، لعله ينبه من لم يتنبهوا بعد إلي خطورة هذا الرجل ، بنيامين نتنيا هو رئيس وزراء اسرائيل وزعيم « الليكود » و« اليميني المتطرف » واليمين في تاريخ الصهونية وفي اسرائيل له « معني خاص » ومحدد ، انه يعني الحرب والعدوان علي ارض العرب وحقوقهم ، بل نفي وانكار وجود العرب في فلسطين . وبنيامين نتنياهو الذي يعتبر في هذه المرحلة « خلاصة اليمين الصهيوني » لا ينطبق عليه الا وصف « اخطر رجل » في « اخطر دولة » .. في اخطر مرحلة منذ ١٩٦٧ !!

عبد العال الباقوري
رئيس تحرير الاهالي

